سُلطان الحويطي

# عُريْ

— رواية —

عري
رواية
سلطان الحويطي
طبعة أولى: نوفمبر 2017
الحويطي، سلطان
ط1 دار الربيع العربي، القاهرة، مصر.
المدير العام: أحمد سعيد عبد المنعم
رقم الإيداع (مصر): 2017/19814
ISBN: 978-977-5221-70-4

manshurat.alrabie@gmail.com

rabe3arabe.com@gmail.com

002-01140848568
00237034079

كافة الحقوق محفوظة للناشر ©
لا يسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقةٍ، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببضع فقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

سُلطان الحويطي

# عُريْ

— رواية —

# ١

الجمعـة، التاسـعة والنصـف صباحًـا. وجهـتي جمعيـة الشـبان المسـلمين «معـرض الكتـب» في «حـي الدهـار».

أيـن تذهـب أرواحنـا عندمـا ننـام؟ هـل النـوم مجـرد عمليـة لإعـادة شـحن الجسـد الـذي نُلقيـه في مـكان مـا مـن هـذا الكـون الفسـيح بينمـا تسـبح أرواحنـا متحـررةً في عالـم آخـر؟

كانـت هـذه الأسـئلة تمتطـي حصانًـا جامحًـا يتجـه بـكل سرعـة ليخـترق جمجمـتي، بينمـا تتكـون ملامـح وجهـي عـلى مـرآة الحمـام موسـومةً بالذبـول. تعودت أن أشـاهد هـذه الملامـح كلمـا عـادت روحـي لجسـدي. وتعـودت أيضًـا أن تخترقـني مثـل هـذه الأسـئلة لكـن هـذه المـرة رأيـت شـيئًا جديـدًا، مُدهشًـا. بـل مزعجًـا. رأيـت بقعـةً سـوداء بحجـم أنـف أرنـب تكوَّنـت أسـفل عيـني اليُمـنى.

أين تذهب أرواحنا عندما نموت! هل للموت ملامح!

عندمـا زُرتهـا في ذلـك الغـار ليلـة هـروبي مـن مضـارب القبيلـة قالـت لي: السَّـواد أول العلامـات، والمـاء آخرهـا! حاولـت أن أسـتفهم منهـا عـن أي سـوادٍ تتحـدث.

قالـت: لـن تجـني سـوى العـذاب إذا عرفـت. ثـم صمتـت كأنهـا تحولـت لحجـر أصـمّ، كان ذلـك منـذ زمـن بعيـد ولكـن كلماتهـا مـا تـزال تنقـر في أذني.

سـألت نفـسي هـل هـذه البقعـة هـي السـواد الـذي

تعنيـه. هـل حـان الوقـت إذًا!

تعرَّيـت مـن كل ملابـسي. وقفـت تحـت الـدش أغسـل جسـدي بالصابـون. أصـوات الباعـة في الخـارج تخـترق أذني تأخـذني لحيـث أشـاء..

أجساد للبيع..

قرّب جسد مفتول العضلات.. يا بلاش..

أجساد طازة..

أبيع وأتوصّى..

رغـم أن جسـدي لـم يمكـث عـلى هـذه الأرض أكـثر مـن ثلاثـين سـنة، إلا أنـه بـدا جسـدًا لشـيخ عجـوز عـاش منـذ الطوفـان العظيـم. ترهـلات في منطقـه البطـن، تشـقُّقات عـلى الفخذيـن تمتـد لـلأرداف. تظهـر وحمـة كبـيرة عـلى شـكل كبـد جمـل أخـذت مكانهـا عـلى الفخـذ الأيمـن. أمـا المنكبـان فنحيفـان للغايـة يتوسـطهما تجويـف عميـق أعـلى الصـدر. تقـول أمـي أنهـا عندمـا شـاهدت هـي والعجـوز الـتي عـادةً مـا تكـون الوجـه الأول الـذي يـراه مواليـد القبيلـة. هـذا التجويـف، اعتقـدت أنـني لـن أعيـش طويـلًا، وأن هـذا التجويـف يعـني أنـني مولـود بـلا

قلـب!

عندمـا سـألتها، عـلى مـاذا توحمـت يـا أمـي؟ ابتسـمت وقالـت: عـلى كبـد بعـير. وهـل لـدى نسـاء الصحـراء غـير أكبـاد الإبـل يتوحمـن عليهـا يـا ولـدي.

المـاء ينسـاب ببـطء عـلى جسـدي. أصـوات الباعـة في الخـارج تتعـالى.

أناااااابيب.. أنابيب..

ثلاثة جنيه يا بطاطا..

أبيع واتوصى..

منبهـات السـيارات تزعـق احتجاجًـا عـلى هـذا التكـدس، كأن العالـم تحـول إلى تجويـف في منحـدر سـحيق يلفـظ بـين حـين وآخـر كلمـات تعـني البعـض ولا تعـني معظـم النـاس.

ابتسـمت وقـد لمعـت في ذهـني فكـرة.. مـاذا لـو امتلكـت جسـدين! فمسـألة الاعتنـاء بجسـد واحـد مسـألة شـاقة جـدًّا، قلـت لنفسـي وأنـا أتنـاول المنشـفة: لو كنـت أمتلك جسـدًا آخـر لجهَّزتـه قبـل أن أنـام ولكنـت الآن قطعـت نصـف الطريـق!

نشـفت جسـدي كي يسـتعد لمهامـه الـتي أعتـاد عليهـا مـن عبـور شـارع، وانحشـار في مقعـد سـيارة وغيرهـا مـن المهـام اليوميـة.

ارتديـت بنطـالًا أسـود اللـون وسُـترة بيضـاء، نُقشـت عليها مكعبـات سـوداء. دسسـت قدمـي في حـذاء شرقي مصنـوع مـن جلـد النعـام، وبنظـرة خاطفـة للمـرآة تأكـدت أن شـعر رأسي يحتفـظ بصبغتـه.

عـلى عَجَـلٍ فتحـت بـاب المصعـد. المرايـا كائنـات أسـطورية تُطـل عـليَّ مـن كل ناحيـة! أتحاشـاها. لا أريـد مشـاهدة البقعـة السـوداء أسـفل عيـني اليُمـنى، رأيتهـا تمتـد لتصـل أسـفل ذقـني. بحجـم رأس أرنـب!

تذكـرت أنـني رأيـت بقعـة سـوداء مشـابهة، لكـن عـلى أي وجـه؟ وقبـل أن يتوقـف المصعـد تشـكَّل أمامـي وجـه البـواب والبقعـة السـوداء تمتـد عليـه.

رأيـت نفـسي أفتِّـش هنـا وهنـاك عنـه. أرفـع عقـيرتي بالنـداء عليـه.

لا أحـد يُجيـب. مدخـل البنايـة يخلـو مـن النـاس. لـم يكـن سـوى جـرذ قفـز مـن أعـلى الكـرسي الخشـبي بجـوار المدخـل الرئيـسي للبنايـة نحـو الخـارج. المقهـى عـلى

اليمين هو الآخر خالٍ من الزبائن. لم يكن هناك سوى أربعة صراصير تقوم بحركات بهلوانية على طاولة تقديم الطلبات. انتبهت أن الحشرات تملأ الشارع تنتشر على شرفات البنايات. مجموعات كبيرة من الخنافس تمر أمامي بمرح! نملتان تقفان على باب المقهى وأم أربعة وأربعين تسحب جسدها لتصعد الرصيف بجهد. أتلفَّت لا أرى بشرًا! حجم هذه الحشرات كبير كحجم جسدي.

ما زالت صورتي على المرآة تحمل ملامح من عاد من الموت أو من في طريقه إلى الموت، توقف المصعد وفُتح الباب. روحي تقودني على مهل.

عندما رآني البواب قفز من كرسيِّه وقال والابتسامة ترتسم على مُحيَّاه:

صباح الخير يا عم «ضاوي».

رددت التحية وأنا أتفحَّص وجهَه المُقزز، بدا كأنه رأس جرذ أسود! وقبل أن يسألني عن سر هذا التفحُّص انصرفتُ. توجَّهت للمقهى عن يمين البناية، كان خاليًا من الزبائن، لم يكن سوى أربعة عُمال.

رأيت وجهها صامتًا، ملأته التجاعيد. «السَّواد يا ولدي

أولى العلامات».

الأجساد تملأ الشارع الذي أجلس على ناصيته. بعضها بدا كأنه خيول جامحة، وبعضها كحمير، وأخرى كحشرات تمتطيها الأرواح، كأن هذا الجسد ما هو إلا قالب تشكّل على هيئة الروح.

عندما جُلت بنظري ليصل إلى مشارف قرص الشمس خُيل إليَّ أن هناك الكثير من الأرواح تسبح في الفضاء تنتظر أن تُجهَّز لها أجساد تمتطيها، أخرى ترجَّلت من معركة الحياة تنتظر الرفاق في الرحلة الأبدية.

أغمضت عيني بقوة. صوت دوَّى داخلي كالانفجار: الجسد يا «ضاوي» مُعضلة الإنسان الأزلية.

فتحت عيني. أبحث عن مصدر الصوت، لم أر سوى الجرسون يمسح الطاولة بقطعة من قماش. لم يكن الصوت بالغليظ ولا الحادّ، إلا أنه أحدث هزة داخلي جعلتني أشعر بغثيان. كل كلمه تنتهي بذبذبات متموِّجة تتغلغل في روحي وتستقر في ركن قصيٍّ منها وتمكث هناك.

رفع الجرسون كوب الشاي الفارغ وانصرف بعد أن أعاد لي باقي الحساب. بينما أغادر انتبهت لامرأة عجوز

جسـدها يُشـبه إلى حـد بعيـد جسـد أم أربعـة وأربعـين تحـاول جاهـدةً أن تصعـد الرصيـف المقابـل لكنهـا تقـع ويتهـاوى جسـدها عـلى الأرض.

لـم أكـن أعلـم أن هـذه العجـوز سـتكون مـن أسـباب شـقائي فيمـا بعـد!

عـبرت الشـارع مـع مجموعـة مـن الأجسـاد المروضـة، وعندمـا اقتربـت مـن جسـد العجـوز المُلقـى عـلى الأرض انتابتـني رغبـة أن أبصـق عليـه! تزامنـت مـع رغبـة في أن أقـف فـوق جسـدها وأصرخ في وجـه هـذه الجمـوع: أنتـم كائنـات هشَّـة، كائنـات ضعيفـة، أنتـم حمقـى وبؤسـاء، أُعطيتُـم هـذه الأجسـام كي تُحرمـوا مـن الفضيلـة، مـا أنتم سـوى سـاعات رمـل يبتلعهـا الزمـن. جربـوا وتخلصوا مـن حبـات الرمـل الـتي تحملونهـا، جربـوا أن تسـيروا جوار الزمـن، حينهـا سـتدركون أنكـم كنتـم عبيـدًا لأجسـامكم!

بصقـت عـلى جسـد العجـوز وانصرفـت مُسرعًـا. بخطـوات واسـعة كخطـوات نعـام أحـس بخطـر يحـدق بـه. انحرفـت إلى اليمـين سرت في شـارع يتصـل بالشـارع الرئيـسي تمتـد عـلى جانبيـه بنايـات فاخـرة، يطـل مـن شرفـة إحداهـا رأس مـليء بالشـيب والتجاعيـد يشـبه إلى حـد بعيـد تلـك الـرؤوس الـتي شـاهدتها ذات يـوم

معروضة في المتحف المصري. هدير موسيقى غربية انبعث من إحدى البنايات في الجانب الآخر جعلني أُسرع الخُطى وأتجاوز الأجساد التي تملأ الشارع. كدت أصطدم بجسد عجوز يجره كلب!

رائحة الفواكه تطوف في السماء تعطر المكان منبعثةً من المحل القريب من سوبر ماركت «مترو».

في نهاية الشارع تتزاحم السيارات وتلتصق روائح عوادمها ببعض النسمات الرطبة القادمة من البحر. أيضا تقف ميكروباصات جائعة تنتظر أن تحشى بالأجساد لتلتهم الطريق، سرت مبتعدًا، انعطفت مع الطريق ناحية اليمين مارًّا جوار فندق روما.

سماء الغردقة صحوة هذا اليوم بعكس الأيام الماضية تُغريني بأن أسير قليلًا وأتنفس الهواء العليل. توجهت إلى البحر مستجيبًا لفتنته. وقفت مواجهًا له منتصبًا فاردًا ذراعي، أستمع لصوت الموج أثناء ارتطامه بالصخور، يتداخل مع أصوات النوارس التي تحوم فوقي تمامًا، فكرت أن أخلع ملابسي وأرتمي في البحر ولكني تذكرت، لا بد أن أذهب للدهار.

استدرت نحو الشارع، حاولت إيقاف سيارة أجرة،

لـم أفلـح. هـذه السـيارات المتزاحمـة أمامـي لا تتوقـف. غريـب أمرهـم.

يمضي الوقت لا أعلم كم وقفت.

في تلـك اللحظـة بـات الزمـن أسـطوريًّا. كنـت منشـغلًا عـن أي شي بتلـك الحرقـة الـتي أشـعر بهـا أسـفل عيـني اليمـني تمتـد لذقـني. أشـعر بهـا مـكان البقعـة السـوداء الـتي ظهـرت عـلى وجهـي هـذا اليـوم. لـم أعـد أسـتطيع المشـاهدة جيـدًا بهـذه العـين، نظـرت لأعـلى باتجـاه قـرص الشـمس، وضعـت كفـي عـلى عيـني اليُسرى وحدَّقـت بعـين واحـدة للشـمس، انطلـق شـعاع أحمـر مـن الكـرة المشـتعلة ليصـل إلى عيـني اليمـنى كأنـه طريـق وهمـي يربـط بـين عيـني والشـمس. أرى صـورًا تظهـر عـبر هـذا الطريـق مـن الشـعاع مـا تلبـث أن تتـلاشى! رأيـت صـورة العرافـة «هدابـة» قاعـدة في غارهـا. رأيـت صـورًا لمجموعـات مـن النـاس، رأيـت رايـات ترفـرف فـوق جبـل شـار، رأيـت رياحًـا غاضبـة تقتلـع بيـوت الشـعر وترمـي بهـا بعيـدًا، ورأيتـني عـلى ظهـر أتـان يطـير بي!

*ى*

عندمـا مـررت جـوار جسـد العجـوز المُمـدد عـلى

الرصيف، وقبل أن أبصق عليه خُيل إليَّ أن الزمان كله انحصر في عينيها وتشابكت اللحظات، لا بد أنها الآن تنتزع صورًا من جوف الزمن في محاولة لإقناع الروح بالبقاء تطوف حولها. الأحداث واللحظات تتوحد مع الزمن.

سمعت صوتًا يقول:

الحاجَّة ماتت.

سرت مبتعدًا عنها. بعد أن صار جسدها الخرب خلفي تمامًا شعرت بشيء يتبعني، وكلما توقفت ونظرت للخلف لا أرى أحدًا. وما إن أواصل السير حتى أشعر به يلاحقني مجددًا.

هل كنت مراقبًا!

- على فين يا باشا؟

كانت قد توقفت سيارة أجرة جواري أستقليتها على عَجَلٍ. بعد أن أغلقت الباب أخذت أحدق من نافذة السيارة لنَوْرَسين طارا بعيدًا من فوق عمود الإنارة.

ودون أن ألتفت للسائق قلت: لو سمحت خذني للدهار. وبالتحديد لجمعية الشبان المسلمين.

_ مش دي اللي قدّام الكنيسة؟

- الكنائس كثيرة.

ومن ثم ساد الصمت.

تشق السيارة طريقها نحو «الدهار». الأرصفة على جانب الطريق تفتح ذراعيها تبحث عن البسطاء الذين اختفوا فجأةً هذا اليوم فلم يعد لهم وجود! الأرصفة وحدها من تحتوي وجع الغلابة. الأرصفة وعاء لآلامهم فلماذا تخلَّوا عنها في هذا اليوم.

الشارع بدا كنهر من السيارات المتدفقة، تنساب بيُسر نحو بغيتها. المباني أشجار عملاقة تقف على ضفتي الطريق تلفظ كل صباح مئات من هذه الكائنات. والغردقة فتاة تمنح مفاتنها لمن يستطيع أن يدفع ثمن التمتُّع بها. لا أعلم ما الذي جعلني في هذه اللحظة أتذكر قول أبي عندما كان يتحدث عن الصحراء وهو يرى أفراد قبيلته يهاجرون نحو المدينة تاركين الصحراء خلفهم. كان يقف مستندًا على عمود بيت الشعر ينظر للأرض المنبسطة على مد نظره يخرج صوته مليئًا بالحنين يطوف حول الجبال والهضاب:

المدن صنيعة الإنسان، لذا هي ناقصة مهما بدت

لكـم مكتملـة، أمـا الصحـراء فهـي صنيعـة الله عاريـة مـن كل الخطايـا.

عـدت بنظـري إلى داخـل السـيارة. لفـت انتباهـي صليـب مذهَّـب وضـع عـلى تابلـون السـيارة بحجـم علبـة الكبريـت، أمامـه تقـف دُميـة عـلى شـكل كلـب لا يكـف رأسـه عـن التراقـص! وجـوار الدميـة صـورة لفتـاة فاتنـة وضعـت في بـرواز. حدقـت فيهـا مليًّـا. حـتى انتبهـت لصـوت السـائق:

هذه صورة ابنتي «ماريا».

تعجبـت أن يُقلّـني مسـيحي في هـذا اليـوم بالـذات ولهـذا المشـوار بالـذات. نظـرت لهـذا الرجـل الـذي يُقحـم نفسـه في مشـاوير الآخريـن فتتلخـص مهمتـه في إيصـال النـاس لنهايـات طرقهـم. بـدأ الفضـول يجتاحُني وشـعرت بحاجـتي للحديـث معـه. أريـد أن أفـرغ مـن بعـض الكلمـات لا سـيما أنـني ممتـلئ بهـا منـذ الأمـس. نظـرت تجاهـه للمـرة الأولى. بـدا شـيخًا كبـيرًا، ملامحـه تـدل عـلى أنـه صعيـدي. لـم أتعـود أن أبـادر أحـدًا بالحديـث لكـن سـأفعل. ولا شي غـير الحديـث عـن الطقـس يمكـن أن يبـدأ بـه النـاس أحاديثهـم. كنـت أتوقـع أن ينتهـي الحديـث بمجـرد أن أصـل إلى جمعيـة الشـبان المسـلمين.

تنحنحت:

يبدو الطقس جميلًا.

التفت ناحيتي التفاتة خاطفة، ولكنني بحلقت في وجهه حيث بدت عينه اليُمنى بيضاء لا أثر للسواد فيها ورغم ذلك بدا وسيمًا!

قال:

ما يفيد الطقس الجميل إذا كانت النفوس خربة، النجار الذي أعدَّ صليب الصلبوت لم يكترث إن كان الطقس جميلًا أم لا، ونوح عندما صنع السفينة لم يعنِه إن كان الطقس جميلًا أم لا.

تعجبت لمنطق الرجل يبدو أنه حكيم؟ لا يكتفي بتوصيل الناس لحيث غاياتهم، بل يهديهم الحكمة أيضًا! اجتاحتني رغبة جامحة تدفعني لأعرف كل شيء عنه.

- اسمي جرجس من صعيد مصر هل يكفي هذا؟

تلعثمت، دُهشت، ولكنني أيقنت أنه يُعدُّ لعبةً ما.

هززت رأسي بالموافقة ولم أُبدِ رد فعل يوحي بتعجبي

مـن قدرتـه الخارقـة عـلى معرفـة مـا دار بذهـني. وحـتى أزيـح هـذا الانبهـار عللـت أنـه سـائق وقـد قابـل الكثـير مـن النـاس وربمـا أن مـا فعلـه لا يعـدو كونـه اسـتنتاجًا لا أكـثر ولا أقـل فـلا يجـب أن أضخّـم الأمـور.

_ الاسـم يـا جرجـس يكفـي لأن أسـتحضرك مـتى شـئت مـن مسـتودع الذاكـرة.

يظهـر مـن بعيـد ميـدان الدهـار. تطـوف حولـه السـيارات كراهبـات يؤدّيـن طقـوس العبادة.

واسترسـل جرجـس بالحديـث عـن عيـد القيامـة وكيـف أنـه يكـون جميـلًا في قريتـه في الصعيـد بعكـس مـا يكـون في الغردقـة.

قال:

سـأذهب اليـوم وغـدًا وبعـد الغـد للكنيسـة. كـم تمنّيـت أن أكـون بـين أهـلي وناسي وأبنـاء قريـتي في هـذه المناسـبة.

بكرة ها يكون زي الوقفة عندكم.

بـدأت أشـعر أن في جسـد جرجـس روح سـاذجة وأخـرى خبيثـة!

«الدهـار» كظفـر طفـل قُلـع للتـوّ فتجمـع الذبـاب حـول مكانــه الملــوث بالــدم. «الدهــار» هــو الآخــر ملــوث بالبـشر. بعـد أن انعطفـت السـيارة لليمـين توقفـت. أشـار جرجـس بيـده وقـال:

ها قد وصلنا. هذه هي الكنيسة.

-إذًا أين هي جمعية الشبان المسلمين؟

# 2

عندمـا تكـون حزينًـا اخلـع ملابسـك واركـض تحـت المطـر. أفعـلُ ذلـك كلمـا أمطـرت السـماء وأرخـت رأسـها في حيـاء. لكنـني لا أخلـع كل ملابـسي.

_ سأموت في يوم ممطر يا «وردة».

في تلك الأثناء بدأت قطع من السحب السوداء تلتقي في عرض البحر. قطع عملاقة مخيفة حجبت الشمس المنشغلة بجمع أطراف النهار استعدادًا للمغادرة. بدت السحب ثائرةً تجلد الأرض بلا رحمة، وبينما أتابع هذا المشهد لم أنتبه إلا ويد تمتد أمامي.

- هيا يا «ضاوي» ستمطر.

أمسكت يدها وعندما انهمر المطر بقوة ركضنا أنا و «وردة» والشيطان ثالثنا كان يجلس على يدينا المتشابكتين. هل آخذها لشقتي وأمطرها قبلات وأجلد جسدها برغبتي الجامحة. خطر لي أنه عندما يكون الإنسان في بداية طريق الحياة يكون متحررًا من الجنس وعندما يكون على مشارف نهاية ذلك الطريق يكون متحررًا من الجنس أيضًا.

أشعر برغبة جامحة أن أتعرَّى واركض تحت المطر. أخيلة الناس الهاربة من المطر كأشباح سوداء تُسرع للاختباء، في الجانب الآخر للشارع قطة مبللة تصعد الرصيف وتركض بسرعة لتختبئ في بيت طيني مهجور. أرقبها وهي تتسلل من بين تلك الأخيلة.

نظرت لوردة وقلت:

هل تشعر القطه بلذة التعرّي تحت المطر؟

نظرت مبتسمةً وأجابت:

بإمكانك أن تذهب وتسألها. ثم سحبت يدها لنتوقف عن الركض وقالت: ما رأيك بكوب قهوة؟

هززت رأسي بالموافقة.

توقفنا أمام مقهى صغير. دخلت وردة تسبقني وعندما تنبهت أنني ما زلت أرقب تلك الكتل العملاقة من السَّواد عادت وسحبتني من يدي. جلسنا إلى طاولة خشبية مستديرة. قلت وأنا أستعد لإشعال سيجارة:

لو عُدتِ مرة أخرى للحياة ماذا تريدين أن تكوني؟

- شجرة.

ثم أطرقت قليلًا ونظرت إليّ. عيناها الصغيرتان ثاقبتان تتحركان بسرعة. يدها تتسلل من بين الأدوات الموضوعة على الطاولة حتى قبضت على يدي، أمسكتها وكأنها تخشى أن أقع من أعلى منحدر:

لماذا تضع نفسك دائمًا على حافة الحياة لماذا ترتدي

جلباب الموت. ابحث عن الحياة وعِشها.

لم أكترث لحديثها. شردت بفكري بعيدًا تخيَّلتها شجرة تقف وحدها في العراء تحاول الصمود أمام هجمات الرمال العاتية. شجرة «سنط» عملاقه تغرّد الطيور فوق أغصانها. دُهشت من إجابتها! لأنها لم تفكر ولم تستهجن السؤال. فكرتُ كثيرًا أن أكون قطًّا لو عدت مرة أخرى للحياة باختياري، لكنني كرهت هذا الاختيار عندما رأيت الصبية يتقافزون احتفاءً بقطع ذيل قط. أكره أن أكون قطًّا بلا ذيل. يبدو أن وردة فكرت كثيرًا في ماذا ستكون بعد أن تعود للحياة لهذا أجابت بسرعة.

- لماذا شجرة بالذات، توقعت أن تقولي فراشة أو على الأقل قطة!

- لا، عاوزة أكون شجرة كبيرة بس.

نفثت دخان سيجارتي:

إذا أصبحتِ شجرة لا تستطيعين الركض تحت المطر.

ابتسمت ابتسامة خفيفة:

وأنت ماذا تريد أن تكون؟

دون أن أفكر:

- مطـر! أريـد أن أصبـح مطـرًا كي انهمـر عليـك وأمنحـك الحيـاة.

لمـاذا يهـرب أغلبنـا مـن فكـرة أن يكـون إنسـانًا لـو عـاد للحيـاة باختيـاره هـل لأننـا عشـنا هـذه التجربـة المؤلمـة؟ ربمـا هـذه القطـه أيضًـا تهـرب مـن فكـرة أن تكـون قطـة في حيـاة أخـرى. فكـرتُ وأنـا أنظـر للقطـة المختبئـة بينمـا أنتظـر لحـاق وردة بي خـارج المقهـى.

غضـب السـماء الـذي يلـد الرحمـة هـدأ فجـأة. فرحـت بانجـلاء السـحب. لأن يومًـا ممطـرًا آخـر مـضى دون أن أمـوت. فَـرِحٌ باسـتمرار أسر روحـي داخـل جسـد حقـير يتسكَّع في الشـوارع ويمـلأ حـيزًا عـجَّ بالفـراغ! ربمـا يقتحم جسـدًا آخـر ليسـكت شـهوته!

وردة تقـف جـواري. جسـدها مثمـر كنبتـة تـشي بثمارهـا كي يقطفهـا فـلاح عفـيّ. نظـرت لي قلقـةً:

- سأذهب الآن.

- ألم تعديني أن اليوم لي؟

- نعـم. لكـن أخـشي أن تقلـق عـلي «تريـزا». فلـم تتعـود

أن أتأخـر.

تقدمتُ خطواتٍ غاضبة وأشحت بيدي:

- اتـركي عنـك هـذه العائلـة الملعونـة واسـكني في مـكان آخـر.

تركـتُ «وردة» بجسـدها الثائـر خلفـي. ربمـا ببعـض الإصرار مـني كانـت سـتظل معـي، إلا أنـني في الأسـاس لا أرغـب في بقائهـا. دُسـت بحـذائي عـلى عقـب السـيجارة، هكـذا يجـب أن أتعامـل مـع «وردة» فليـس مـن الحكمـة أن أدسّ عقـب السـيجارة في جيـبي.

شـعرت بحاجـةٍ للتسـكُّع في الشـوارع المبتلَّـة. سِرتُ عـلى غـير هـدى حـتى وصلـت إلى شـارع ضيـق تنتـشر عـلى جانبيـه المحـلات. فكـرت أن أدخـل مطعمًـا إلا أنـني واصلـت سـيري مُسـتجيبًا لتلـك النشـوة داخـلي وتوجهـت إلى الهضبـة هـذا المـكان الـذي لا بـد أنـه عـجَّ بدعـاء وابتهـالات الجنـود في حـرب الاسـتنزاف.

ربمـا تحـت هـذا المرقـص، الـذي أنتـوي دخولـه. اجتمـع عـدد مـن الجنـود ليشـيعوا جنـازة زميلهـم الذي استشـهد برصـاص العـدو: العرّيـف «حسـين عبـد السـميع» الـذي عندمـا غربـت شـمس ذلـك اليـوم أشـعل سراجـه

ليكتب رسالة لوالده في قنا يخبره فيها أنه بخير، وأنه يشارك في الصفوف الأولى، ولن يهدأ له بال قبل طرد الصهاينة من مصر المحروسة. وأنه اشتاق للبلد ولصباحها الهادئ الجميل.

في الصباح كان العرّيف «حسين عبد السميع» جثة هامدة، تجمَّع رفاقه حوله، منهم من يبكي ومن أصبح مجرد أنف يحاول أن يشم رائحة الطِّيب الخارج من جسد الشهيد!

صوت هادر، أتى من بعيد أجبر الجميع على النظر نحوه: يا حبيبي يا حسين. حسين مات وتركني.

_ ما تقولش مات. حسين شهيد.

_ وتفرق إيه؟

_ تفرق كتير. الشيخ «عبد الجليل» بيقول إن الشهيد لا يموت. روحُه تتعلق في حواصل طيور خضر في جنة ربنا.

تساؤل يدور برأس المجند «فتحي المنجلاوي».

هل تحنُّ روح العريف «حسين» لجسده الغارق في الدماء؟

وصل الخبر قنا. مركز نجع حمادي. وصل الخبر قبل أن تصل رسالة «حسين عبد السميع»! ربما نسي أن يختم رسالته بتلك الكلمات التي يرددها: الراقصات وحدهن لا يمُتن في الحروب. الراقصات وحدهن من فهمن لعبة الحياة.

عند الباب بدأت أصوات الجنود تخرج من رأسي. الأنوار خافتة وأصوات الموسيقى صاخبة. اقتادني الجرسون لطاولة قريبة من المسرح. غاب لحظة وعاد يحمل البيرة والمَزَّة. الراقصة على المسرح تتلوَّى. وضعت كفَّيها مُتلاصقين. ذراعاها ممدودان لأعلى. كل العيون مشدوهة. عندما استدارت ناحيتي فُتِنتُ بتضاريس جسدها. نهداها البارزان تلَّان في أعلى وادٍ سحيقٍ تتهافت النفوس لدخوله، جعلاني أنتشي وتنتصب الشهوة مجددًا.

صوت داخلي يُزاحم هذه النشوة التي تبلغ أعلى مستوياتها كلما اهتزَّ النهدان! ذلك الصوت الهامس في داخلي يقول: المرأة يا «ضاوي» طريق الرذيلة.

الصوت الوقح أفقدني نشوتي وجعلني أرفع نظري عن ذلك الجسد المتمايل.

لا أعلـم مـا أعـاد أصـوات الجنود لـرأسي في هـذه اللحظة! سـمعت صـوت العريـف «حسـين عبـد السـميع»: الراقصـات وحدهـن لا يمُـتن في الحـروب.

قلـت لنفـسي: ربمـا أرواح الجنـود مـا تـزال هنـا فالأنفـس تعشـق المـكان. لكـن المـكان كالراقصـة تمامًـا لا يعشـق أحـدًا!

قـررت أن أغـادر، لـم أعـد أقـوى عـلى مشـاهدة المـرأة في أصـدق لحظاتهـا. ولا الرجـل أيضًـا وهـو في أصـدق حالاتـه!

خرجـت مـن بـين الأجسـاد المترنِّحة وقـد امتزجـت أصوات الحـاضر بالمـاضي في الـرأس الثمـل. أوقفـت سـيارة أجـرة: شـارع الشـيراتون أول مترو.

# 3

أحداث البارحة تتدافع لتجتاح عقلي دون مقدِّمات!

شـعرت بحرقــة عــلى وجهــي، توجَّهــت إلى البلكونــة.

اســتلقيتُ عــلى الأرض أنظــرُ للســماء، رأيتــني مســتلقيًا عــلى جبــل مــن الرمــال الناعمــة جــوار مضــارب القبيلــة.

شــعرت بروحــي تصعــد للســماء. تقفــز مــن نجمــة لأخــرى وتنزلــق لتعــود لجســدي مجــددًا كشــهاب محــترق. فتحــت عيــني. ســماء الغردقــة ســوداء تخلــو مــن النجوم. شــعرت ببعــض التحسُّــن ذهبــت الحرقــة مــن عــلى الجلــد.

عــدت إلى الغرفــة، ارتميــت عــلى الســريــر، أغمضــت عيــني ونمــت. لا بــد أنــني كنــت قــد نمــت. صــوت غليــظ يهتــف:

غــدًا ســتظهر العلامــة يــا «ضــاوي» ستشــاهدها عــلى المــاء، الضــوء يحملهــا لــك.

رجــل بنصــف جســدٍ، ووجــه مُشــوَّه، أخــذ يتشــكَّل في هالــة مــن الدُّخــان. نظــر ناحيــتي بعينــين تُشــبهان عيــني فــرس النهــر. حــدَّق فيَّ، شــعرتُ أن عيــني نافذتــان مُشرعتــان، اســتطاع هــذا الغريــب الولــوج منهــا، شــعرت بــه يتحــرك في جــوفي يقبــض عــلى قلــبي ومــن ثَــم أنســحبُ لــتزداد كثافــة الدخــان الصاعــدة مــن حــولي، حاولــت النهــوض لــم أســتطع. جســدي يرتجــف بشــدة. لــم أســتطع فتــح عيــني ولا تحريــك يــدي. مكبــلًا بــلا قيــود! شــعرت أن روحًــا تائهــةً اســتغلَّت فــراغ جســدي! ارتميــتُ عــلى الأرض

وزحفت كأفعى خرجت لتوِّها من معركة قوية. وصلت باب الغرفة. أغشي عليَّ.

*ى*

وجرجس يُمعن النظر في الكنيسة المطوَّقة بالمصدَّات الخراسانية والمدرَّعات، كنت أبحثُ عن جمعية الشبان المسلمين. كانت تقع على ناصية الشارع المقابل. يبدو أنها مغلقة. فكرت أن أمكث قليلًا في الدَّهار ريثما تُقام صلاة الجمعة ومن ثَم أعود للجمعية إلا أن جرجس باغتني وكأنه يريد أن يؤكد لي قدرته على قراءة أفكاري:

لا أعتقد أن فكرة المكوث هنا فكرة صائبة.

هذه المرة كنت مرتبكًا وأنا أنظر في عيني جرجس. لكنه أشاح وجهه عني وقال وهو يحدِّق في السماء:

ربما تظل الجمعية مغلقة إلى اليوم التالي، فالمسلمون في يوم الجمعة يتفرغون للعبادة.

أشرت بيدي اليُمنى، لكنها تسمَّرت مكانها عندما لمحتُ السواد يكسوها!

لم أصدق ما حدث، حدَّقتُ مليًّا. قلَّبت يدي،

تبدو سوداء كيدِ زنجيٍّ. نظرت بتوجُّس لقدمي اليُمنى لأجدها هي الأخرى سوداء تمامًا. أيقنت أن البقعة السوداء تمدَّدت، لكن هل اكتست كل جسدي. هبَّت عاصفة من الهواجس جعلتني أشعر أن الكون بأكمله انحصر في عيني. ليس هناك مساحات أو فضاءات. لم تعد هنالك صِلات مع أحداث أو ذكريات أو أماكن أو أشخاص. كنت كمن يُحتَضَر، كمن يوشك على مغادرة الدنيا لا يشغله سوى تتبُّع روحه الراحلة.

شغلني تتبُّع هذا السواد البشع الذي ربما جاء ليؤكد تلك النبوءة القديمة. أتساءل في صمت:

من أين جاء كل هذا السواد، هل يكون من السحر؟ أم أن روحًا عفنة تلبَّستني؟

نظرت للنصف الآخر من جسدي بعين ترتجي أن لا تنطلق رصاصة الحقيقة تجاهها. نصفي الآخر ظل كما هو لم يمسسه السواد. انقسم جسدي للونين! نظرت إلى جرجس كان يحدق بنظرات تائهٍ في الجانب المُقبل باتجاه الكنيسة. ينظر لشيخ كبير في السن يرتدي جلبابًا أخضر وعمة بيضاء يتقدَّم باتجاهنا.

قلت لجرجس:

- سجائري نفدت. هل معك سجائر؟ لم أكن أرغب في السجائر بل كنت أريد من جرجس أن ينظر إليَّ. أخرج من جيب قميصه العُلوي عُلبة سجائر وقدم لي واحدة وهو ينظر بلُطف. لم يبدُ عليه أنه تفاجأ، تناولت السيجارة. قلت:

هيا بنا، فلنعُد.

*ى*

عندما استيقظت من إغماءتي وجدتني على السرير. أشعر أنني لست وحدي بالشقة. هناك من يتحرك في كل مكان. أكاد أسمع أنفاسه. هل يكون الشيطان!

قررت أن أظل مستيقظًا حتى يطلع الصباح. بحثت عن هاتفي لم أجده جواري ولا جوار الأباجورة! مكان ما أعتدت أن أضعه، كدت أُجن عندما لمحته جوار باب الغرفة. تيقَّنت أن ما حدث لي حقيقة، وأن هناك من أعادني للسرير. لكن كيف وأنا وحدي!

انهارت قواي لم يعد أمامي إلا أن أنتظر شروق الشمس، فلطالما اعتقدت أن الشمس تطرد الشياطين، ولطالما كنت مدركًا أن الجسد النائم لا يحرسه أحد.

مشيت بخطى الخائف نحو الباب كي أغلقه بالمفتاح. لا أريد أن أرى ذلك الكائن البشع مرة أخرى. عندما اقتربت من الباب سمعت بوضوح صوت خطواته تقترب.

*ى*

جرجس ينطلق بنا عائدين

أتساءل وأنا أنظر من نافذة السيارة للمباني التي تلاحق بعضها وتتلاشى في الأفق البعيد:

هل يكون الشيطان هو من دبَّر كل هذا؟

هل لجرجس علاقة بما حصل البارحة؟!

يبدو أن جرجس مسيحي مُخلص ربما يكون في يوم من الأيام شمَّاسًا في إحدى الكنائس، لكن ليست كل الطرق تؤدي للجنة والحقيقة أن للجنة طريقًا واحدًا. الكل يعتقد أنه يعرف ذلك الطريق. الشيطان يعرف طريق الجنة! رغم ذلك لا يسلكه.

لماذا لا يموت الشيطان!

لماذا من بين كل سيارات الأجرة التي تخنق شوارع الغردقة يقف لي جرجس!

عـدت لأجلـس عـلى سريـري وقـد ضممـت ركبـتي إلى صـدري وطوقتهمـا بذراعـي وأرخيـت رأسي عليهمـا، في محاولـة لجمـع شـتات جسـدي كي يصبـح قويًـا.

لمـاذا نخـاف المسـخ؟ أليـس النقـص يعـني الضعـف، والكمـال يعـني القـوة. تبقَّـى عـلى أذان الفجـر سـاعتان بالتمـام ومـا زالـت التناقـض بـين النقـص والكمـال يـدور في رأسي. الليـل ناقـص ومـع ذلـك نخافـه.

الليـل صـوفي متطـرف تخفـق فيه قلوب العشـاق وتخشـع فيـه قلـوب العُبَّـاد. الليـل وعـاء لآلام الفقـراء ومـسرح لشـهوات الأغنيـاء. الليـل ينـتزع النظـر مـن العـين ورغـم ذلـك تصبـح هـذه العـين هـي لغتـه المُحبَّبـة، لـم يعـد يتحـرك في جسـدي سـوى عيـني. أصبحـت بـكل كيـاني عينـين تنتظـران صخـب الشـمس!

وسـؤال شـارد يحـوم في ذهـني: هـل يريـد الشـيطان مشـاركتي جسـدي!

*ى*

طرقـاتٌ عـلى بـاب الغرفـة جعلتـني كجـذع نخلـة اقتُلـع منـذ زمـن، جـذع خـاوٍ يابـس، وعندمـا ازداد الطـرق تحـشرج الصـوت في صـدري وخـرج محمومًـا: مَـن؟

صوت هادر غاضب:

تعتقـد أن هـذا البـاب سـيحول دون دخـولي، أنـا مـن دخلـت الجنـة وخرجـت منهـا. أنـا مـن غلبـت كل البـشر أنا وحـدي مـن يعـرف الطريـق الصحيـح وأنـت يـا «ضـاوي» مجـرد بائـس.

أتيت لأخبرك.. غدًا ستتغير حياتك بالكامل!

*ى*

تذهــب بنــا ســيارة الأجــرة باتجــاه شــارع الشــيراتون. الحديـث بيـني وبـين جرجـس لـم يسـتوِ بعـد، لـذا طلبت منـه أن يواصـل سـيرَه. توقفنـا أمـام إشـارة مـرور، ينقـل محـرك السرعـة محـاولًا أن يسـبق جمـوع السـيارات الـتي بـدت كقطيـع مـن الذئـاب البريـة تسـتعد للانقضـاض عـلى فريسـتها:

إلى أين؟

إلى التيه يا جرجس!

ابتسـامة خفيفـة توجـه بعدهـا باتجـاه الهضبـة، التفـت ناحيـتي. وقـال بلطـف:

«كل هــذا الوقــت لــم أعــرف اســمك». ثــم أضــاف:

الأسـماء مهمـة. ألا يُقـال أن لـكل شـخص مـن اسـمه نصيبًـا.

ابتسمت وقلت:

ليـس لي مـن اسـمي نصيـب، فاسـمي «ضـاوي» والضـاوي يـا جرجـس هـو الثعبـان الأسـود الـذي يقـدم ليـلًا.

نظـر إلى ومـا زالـت آثـار الابتسـامة باقيـة عـلى وجهـه: ألـم يجـدوا لـك غـير هـذا الاسـم!

ضحكت، وضحك.

قلت:

وهل لك من اسمك نصيب يا جرجس؟

قال بنبرة جادة:

لقـد تسـمَّيت عـلى اسـم القديـس جرجـس فقـد ولـدت في يـوم ٢٣ أبريـل، وهـذا اليـوم هـو عيـد استشـهاد القديـس جرجـس.

ثـم واصـل حديثـه: القديـس جرجـس نـبي. ليـس نبيًّـا بالضبـط، لكنـه رجـل صالـح يعـني ممكـن نقـول عليـه «ولي». كان هنـاك «تِتّـين» في إحـدى القـرى وكان أهـل القريـة يقدمـون لـه كل يـوم كبـش فـداء حـتى يتركهـم

في حال سبيلهم. وعندما خلصت الكباش صار لزامًا أن يقدموا واحدًا منهم للتِّنين! وفي أحد الأيام مر جرجس على هذه القرية بالصدفة فشاهد أهلها وهم يقدمون فتاة جميلة للتِّنين، فحارب جرجس التِّنين بالصليب وانتصر عليه، فآمن أهل القرية.

هل تعلم أن جرجس يعتبر الآن شفيعًا لكثير من الدول؟! فشعار روسيا يحمل صورة جرجس وشعار جورجيا يحمل صورة جرجس أيضًا. وبريطانيا فيها ١٥٢ قرية باسم جرجس. ليس هذا وحسب، قامت بريطانيا العظمى بوضع صورة القديس جرجس على عُملتها الذهبية.

بينما جرجس مستمر في حديثه اقتحمني ذات التساؤل: هل لجرجس علاقة بما حدث البارحة؟!

لم أنتبه إلا بعد أن أوقف «جرجس» السيارة. نظرت في الاتجاه الذي ينظر إليه رأيت شيخًا عجوزًا، يرتدي جلبابًا أخضر وعِمَّة بيضاء يتقدَّم باتجاهنا، كان هو ذاته الذي رأيته في «الدهار» قبل قليل، استقلَّ السيارة، جلس خلفي تمامًا.

شعرت بذلك الشعور الذي انتابني عندما ابتعدت

عـن جسـد العجـوز الـتي كانـت تُحتـضر عـلى الرصيـف، كأن أحـدًا يتبعـني. لـم ينطـق الشـيخ بـأي كلمـة. لـم يُفصـح عـن وِجهتـه حـتى. ومـا زاد اسـتغرابي أن جرجـس أيضًـا لـم يسـأله إلى أيـن يريـد الذهـاب!

عندمـا وصلنـا إلى طريـق المطـار ونحـن نتجـه خـارج الغردقـة طلبـت مـن جرجـس أن يرفـع صـوت الراديـو، لكـن أتـاني صـوت مـن خلفـي تمامًـا يخـال لي أنـني سـمعته مـن قبـل. أعرفـه. صـوت ليـس بالغريـب:

دع عنك هذا الهراء حان الوقت لتسمعني جيدًا.

إنه هو..

من زارني البارحة!

إنه الشيطان.

*ى*

سـيارة الأجـرة تشـق طريقهـا بهـدوء رغـم كل مـا بداخلهـا وداخـلي مـن توتـر، هـو نفـس الصـوت الـذي قـال لي غـدًا سـتتغير حياتـك. هـو نفـس صـوت ذلـك الكائـن المُبهـم الـذي زارني ليـلًا.

بـدأت أشـعر بـشيء مـن الظـلام يجتـاح بصـيرتي.

متأرجحًا بين الحلم والواقع أنتفض كمحمومٍ، هل أنا فعلًا برفقه الشيطان؟ هل جرجس أداة في يد الشيطان! تمالكت نفسي. بدأت أختلس النظر للمرآة، ظهر لي وجهه تتدلى منه لحية بيضاء طويلة أعطته هيبة الملاك. حاولت تجنُّب النظر إليه. لكن بلا فائدة. أمعنت النظر. تأمَّلت تقاسيم وجهه، بدا وجه طفل وضع على هذا الجسد الهرم! بدا لي وجه الطفل المختبئ خلف التجاعيد مألوفًا كأني رأيته من قبل. ربما يشبه ملامحي عندما كنت طفلًا!

الطريق تفتح ذراعيها للعابرين ولا تكترث بهم، وكذلك الحياة.

- إلى أين نحن ذاهبون؟

وجهت هذا السؤال المرتبك إلى جرجس، دون أن يُعيرني انتباهًا.

قال:

مكان ما يعوز الشيخ.

شعرت أن السيارة لا تسير على الأرض، بل تحلق عاليًا. أخذت نفسًا عميقًا وأغمضت عيني وتعوذت من

الشيطان، تعوذت من «إبليس». تعوذت من جرجس.

توقعت ما إن أفتح عيني لن أجد الشيطان ولا جرجس ولا حتى السيارة. لكن لم يتحقق التوقُّع. أيقنت أنني وُضعت في رحلةٍ خُطِّطَ لها بشكل مُتقَن! استجمعت قواي ودون أن ألتفت وجَّهت حديثي للشيخ ذي الجلباب الأخضر والعِمامة البيضاء:

ماذا تريد مني؟

قال بنبرة حازمة:

جئتك البارحة وأخبرتك أن حياتك ستتغير. لقد اخترتك. اخترتك منذ ثلاثين عامًا ولم تعد تملك خيارًا.

ثم قهقه عاليًا.

بالفعل كانت سيارة الأجرة تحلق في السماء لم أكن أتوهَّم، نظرت إلى جرجس مستفهمًا، لكنه أشاح بوجهه بعيدًا عني.

هل استحوذ عليك الشيطان يا جرجس؟

دوى صوته داخل السيارة: انطلق بنا إلى الشمس يا جرجس!

# 4

تحـت كل مدينـة جثـة صحـراء هامـدة. الغبـار رسـول الصحـراء يـأتي ليذكِّـر المدينـة بجريرتهـا الأولى. وذرات مـن الرمـل تعبـث في شـوارع الغردقـة باحثـةً عـن وطـن.

لا بـد أن «وردة» قـد نامـت الآن. هكـذا قلـت لنفـسي وأنـا أتأمـل الغبـار الجاثـم عـلى المدينة.

قاربـت أن أصـل إلى شـارع المـترو حيـث شـقتي، وقـد خرجـت أصـوات الجنـود وصخـب المرقـص مـن رأسي وبقـي صـوت وردة حالمًـا هادئًـا جميـلًا:

عندما نموت نُبعث في قلوب الأحبة من جديد.

الأحيـاء يتمنـون عـودة الأمـوات، وإذا عـادوا يشـعرون بالـنزق، المـوتى لا يُبعثـون في قلـوب الأحبـة بـل يذكرونهم بالمـوت، يذكرونهـم بمصيرهـم، لـذا يجتاحـون قلوبهـم وعقولهـم. ربمـا لا يعنينـا الجسـد الراحـل بـل تلـك الخيـوط الـتي تركهـا خلفـه لتقلـق حياتنـا!

مشكلة المـوت أنـه لا يُجـرَّب. حاولـت أن أجربـه وأتـدرب عليـه. ذهبـت إلى إحـدى المغـارات في أطـراف قريـتي قبـل عامـين. حـين غربـت شـمس ذلـك اليـوم، وأخـذ الظـلام ينسـكب في الفراغـات بـين البيـوت المتناثـرة، و الـتي بـدأت تقـاوم بكسـلٍ الليـل الجاثـم عليهـا ببعـض لمبـات الكيروسـين المعلقـة عـلى أبوابهـا. خرجـتُ مـن البيـت متسـللًا أطبـع خطـى المـوت عـلى وجـه الحيـاة. تسـللت في الظـلام كشـبح هائـج، أسـير مُسرعًـا. بمحـاذاة

البحـر، متجهًـا للشـمال. ابتعـدت كثـيرًا عـن القريـة. لـم يكـن هنـاك سـوى الظـلام وأصـوات غضـب الأمـواج.

وصلـت لأحـراش مـن بقايـا نخيـل وبعـض مـن شُـجيرات الصـور. وقفـت أنظـر لهـذه الجـذوع والأغصـان. تمنيـت لـو أني أقـف بجوارهـا لملايـين السـنين القادمـة. ألقيـت نظـرة للخلـف حيـث القريـة تربـض فـوق تلـة وقـد ابتلعهـا الظـلام. توجهـت ناحيـة الـشرق حيـث الجبـال تقـف بشـكل أسـطوري. وجهـتي نحـو المغـارة الـتي يقـال أن مـا مـن أحـد دخلهـا حـتى خـرج شـاعرًا أو مجنونًـا، ممـا دعـا الأهـالي لإغلاقهـا بالحجـارة. عندمـا وصلـت لمدخـل المغـارة بعـد تسـلُّق الجهـة الشرقيـة مـن جبـل «زهـد» أخـذت أزيـح الحجـارة بصعوبـة حـتى وجـدت فتحـةً. انزلقـت بجسـدي منهـا للداخـل. زحفـت في سرداب منحدر لأسـفل، عـلى رمـل لـزج. لا أكاد أرى شـيئًا سـوى الظـلام، أشـعلت عـود ثقـاب. ومـا إن اشـتعل حـتى خبـا نـوره، لكنـه أتـاح لي رؤيـة تفاصيـل المغـارة. يبـدو أنهـا ليسـت كبـيرة فالـسرداب ينتهـي إلى حجـرة متوسـطة المسـاحة، كان يتوجَّـب عـليَّ أن أتـدلَّى بحـذر حـتى أصـل لأرضيـة المغـارة.

أكـثر مـا يعيقـني صعوبـة التنفـس، فالهـواء المشـبع

بالرطوبة بالكاد يصل إلى رئتي.

بعد أن وقفت على أرضية المغارة المستوية قلت بصوت مرتفع ما لبث أن ابتلعه هدوء المغارة بسرعة:

ها أنا ذا في رحم الجبل أستعد للموت.

أخرجت لفافة بيضاء احتفظت بها طول الوقت، فردتها جانبًا، خلعت ملابسي ثم لففت جسدي بها، كشرنقةٍ. ممدًا في جوف الجبل ومكفَّنًا توسَّدت جانبي الأيمن وتوجَّهت نحو القبلة. كُتل الظلام من حولي تُفقدني الشعور بجسدي، لم يكن هناك أي ضوء. رحم الجبل يعزلني عن العالم، وحيدًا كما ينبغي أن أموت. تبخَّرت كل أفكار الحياة.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى شعرت بشيء يتحرك ويقترب مني صوت فحيح وجلجلة يتعاقبان مصدرهما الجهة الشرقية للمغارة. أتصبَّب عرقًا. رعشة مصحوبة بدبيب أعادت لي الإحساس بجسدي. نورٌ من سقف المغارة سُلِّط على جثتي. أخذ شكل دائرة كنت مندهشًا من هذا الإشعاع أتساءل:

هل أنار الله قبري؟

مستغرقًا في تأمل قبري المُنار لمحت شيئًا يتحرك في الناحية الشرقية من المغارة، ثعبان أسود ضخم على جانبي رأسه قرنان مقززان، ينبعث من عينيه شعاع أحمر. كدت أختنق وأنا أراه يقترب، أشعر بأنفاسه الحارة تحرقني. يفحصني بعينين كعيني مسخ، اقترب، لسانه المليء بالقروح يلامس وجهي مخلفًا لعابًا لزجًا نتنًا. رأسه الضخم يحجب عني باقي جسده.

جسدي ينتفض كأنني محموم. ظهر من الجهة الغربية رجل عملاق يرتدي قفطانًا أبيض وجبَّة بيضاء، يشع وجهه الملائكي نورًا. يحمل سيفًا، توجَّه نحو الثعبان، فصل رأسه عن جسده، نظر ناحيتي وابتسم ملوِّحًا بالسيف وغادر بسرعة البرق من الاتجاه الذي قَدِمَ منه.

بدأ النور المنبعث من السقف يخبو حتى عاد الظلام مرة أخرى، وعدت أفقد إحساسي بجسدي مجددًا. أبتلع ريقي بصعوبة، فيما أستعيد مشاهدة الأحداث في مُخيلتي وقد انعزلت عن العالم لم يعد يربطني به أي شيء، حتى الذكريات لم أقدر على استجلابها. كحشرةٍ انعدم لديها الإحساس بالزمن.

انقبض قلبي وأنا أشاهد النور المنبعث من سقف

المغـارة يعـود حـتى أصبـح عـلى شـكل دائـرة محورهـا جثـتي، أيقنـتُ أن شـيئًا مـا سـيحدث. ملايـين مـن آكلات الجيـف تُحيطـني، تهجـم عـلى جسـدي، تغطيـه، بعضهـا اسـتطاع أن ينغـرس في جسـدي.

بينما أحاول التخلص من كفني كنت أتساءل بوجلٍ:

هل تحول جسدي إلى جيفة! هل أنا ميت الآن!

زاحـم تسـاؤلاتي صـوت جلبـة ووقـع أقـدام تهـرول نحـوي كان الـدُّود يغطـي وجهـي ولـم أسـتطع تبـيُّن شي حـتى دوّى صـوت غليـظ:

«ضاوي» هنا. لقد عثرنا عليه.

كان أهـل القريـة قـد قدمـوا يبحثـون عـني. اخـترق أذني صـوت فـزع: لا الـه إلا الله مـا هـذا الـدود انفضـوه عـن جسـده!

أجابه صوت مرتعش: ماذا فعل ليحدث له كل هذا؟!

ثم صاح أحدهم مستنجدًا:

يا شيخ «غباش» تعال بسرعة. انزل لنا حالًا.

وقـف الشـيخ «غبـاش» عـلى رأسي، أخـذ يتمتـم ببعـض

الآيـات حـتى تراجـع الـدود. لمبـات الكيروسـين الـتي يحملهـا أهـالي القريـة تـضيء الوجـوه الواجمـة، وتُظهـر انعكاسـات ظـلال الأجسـاد متراقصـةً عـلى جـدران المغـارة.

يقـف أربعـة رجـال أعـرف ملامحهـم جيـدًا، إضافـةً إلى الشـيخ «غبـاش» الـذي وضـع يـده عـلى رأسي وأخـذ يُتمتـم وينفـثُ، ثـم نظـر حولـه وقـال:

إنه بخير.

قال صوت خاشع:

لكن ما باله مكفَّن؟!

قال الشيخ «غباش» متجاهلًا هذا الصوت:

هاتـوا ملابسـه. ثـم أمـر أن يخـرج الرجـال وينتظـروه أمـام مدخـل المغـارة. فـك عـني الكفـن وألقـى أمامـي ملابـسي وأدار لي ظهـرَه: هيـا ارتـدِ ملابسـك.

لا حـول ولاقـوه إلا بـالله اللهـم أجرنـا مـن ضعـف الإيمان ولا تؤاخذنـا بمـا فعـل السـفهاء منا.

ارتديـت ملابـسي متلافيًـا القـروح الملتهبـة الـتي تمـلأ

جسـدي، تُعيقُـني عـن الحركـة. عندمـا وقفنـا خـارج المغـارة صـاح في النـاس بأعـلى صوتـه:

هيـا اذهبـوا لا نريـد تجمهـرًا، سـنعود أنـا و»ضـاوي» إلى القريـة.

نظـر إلى أحدهـم، كان متأهِّبًـا، قـال لـه: اذهـب وطمـئن والدتـه المسـكينة. ولا تخبرهـا بمـا رأيـتَ. فقـط قـل لهـا أن الشـيخ غبـاش وجـد «ضـاوي» وهـو بخـير.

ثم أردف بعد لحظة صمت:

إياك.. إياك أن تقول لها أن «ضاوي « فقد عقلَه.

الشـيخ يتقدَّمـني في طريـق العـودة يُتمتـم بـكلام لا أفهمـه.

كنـت أتسـاءل هـل فعـلًا فقـدت عقـلي! بينمـا الشـيخ يسـير أمامـي ويـضرب كفيـه ببعضهمـا:

لا حول ولا قوة إلا بالله.

الرجـال يقفـون أمـام بيوتهـم، والنسـاء ينظـرن مـن النوافـذ. سـار بي الشـيخ حـتى أوصلـني لبـاب البيـت. كانـت أمـي تقـف أمامـه تحيـط بهـا النسـاء. تدفـن رأسـها

في صـدر إحداهـن.

صاح الشيخ غباش:

أبشري يا «سالمة».

عندمـا رفعـت رأسـها لـتراني تهلَّـل وجههـا وانفرجـت أسـاريرها ورفعـت يديهـا للسـماء:

الحمـد لـك يـا رب أن أعـدت ابـني سـالمًا، الحمـد والشـكر لـك يـا رب أن أعـدتَ ابـني سـالمًا.

ثـم نظـرت لي عتابًـا، احتضنتـني، جسـدي المـليء بالقروح نـزف الكثـير مـن الـدم. أخذتـني لغرفتهـا وعـلى سريرهـا وضـع كمـادات سـاخنة عـلى قروحـي شـعرت معهـا بالراحـة، ورُحـت في نـوم عميـق.

لا أعلـم كـم مـن الوقـت مـضى وأنـا نائـم، قبـل أنـا أحـاول فتـح عيـني سـمعت صـوت الشـيخ غبـاش هادئًـا:

يبدوا أن الجن تلبسه.

فتحت عيني فرأيت نفس الوجوه التي كانت في المغارة.

قال أحدهم بصوت عالٍ ينبّه الشيخ:

أفاق!

أطل عليَّ الشيخ بوجه فارس خرج منتصرًا من معركة، ثم تراجع ليختفي وجهه عن مجال رؤيتي. سمعته يقول:

لقد أمهلت الملعون خمسة أيام ليغادر جسد هذا المسكين وإلا سأحرقه، وقد خرج الجن من جسده، لا بُد أن يأخذ هذا الترياق ثلاثة أيام.

قاربت الوصول إلى شارع مترو، ها هي «وردة» تبعث في قلبي وتجتاح عقلي. لا أنسى عندما التقيتها لأول مرة. كان ذلك في نفس المقهى الذي شربنا فيه القهوة. كانت تعمل نادلةً، قدمت لي فنجان القهوة، بادرتها بالقول:

يبدو أنك غريبة.

ردت بشكل مقتضب وهي تضع كوب القهوة على الطاولة:

من القاهرة تحب تعرف حاجه ثاني!

بدت وكأنها تريد أن تُنهي المحادثة، قلت قبل أن تدير لي ظهرها وتنصرف:

وما الذي رماك على الغردقة؟

حدَّقت في عيني وقالت:

راجل ميِّت منه لله.

انصرفت بسرعة.

حتى عندما شعرت أنها تسخر مني لم أنزعج. رأيت فيها امرأة مختلفة جدًّا. لذا عدت كثيرًا إلى هذا المقهى. أخذت علاقتي تتوثق بها بعد ثالث لقاء جمعنا عندما أخبرتني عن الرجل الميت وأخبرتها عن العجوز التي تنبأت بموتي.

جلستْ جواري. على طاولة في ركن المقهى تُطل مباشرةً على البحر. قالت وهي تُعيد خصلة من شعرها خلف أذنها:

أنا من نزلة السِّمَّان، منطقة عشوائية في القاهرة، و»السِّمان» دا ولي من أولياء الله الصالحين مات وعملوا له مقام. ميّت ويتحكم في مصير الأحياء.

تنهدت ونظرت في عيني وقالت حزينةً:

دنيا عجيبة في غمضة عين غيّرت حياتي.

خرجنا من المقهى. أمسكت يدها لأول مرة فسرت رعشة في جسدي! شعرت أنني أسير على أطراف

العالـم! عجيـب جسـد المـرأة، لديـه كل هـذه القـدرة عـلى إحيـاء الرجـل، لكـن المـرأة تُحـيي الرجـل لتقتلـه، وأنـا أريـد أن ألتهـم «وردة» أريدهـا أن تسـكن داخـلي، لا أريدهـا أن تقتلـني.

مـا زال النهـار في منتصفـه. توجهنـا إلى البحـر. جلسـت «وردة» كحوريَّـة سـاحرة عـلى صخـرة، ودلـت قدميهـا في المـاء. جلسـتُ بجوارهـا.

- دنيا عجيبة. في غمضة عين تغيرت حياتي.

«ما أجمل هذا الجسد»

-القاهرة لفظتني بقسوة.

«أريد أن أتذوق رحيق هاتين الشفتين»

-يخرب بيتك يا «مرجاني».

نظـرت في عيـني. نظـرت في وجههـا رأيـت واحـاتٍ مـن الـورد.

- «المرجـاني» الكافـر ابـن الكلـب قلـب حيـاتي. بـس مـات شر ميتـة. «المرجـاني» زمـان كان راجـل تقـي بـس كفـر بربـه، كان يصـلي ويصـوم ويتصـدق بـس كفـر بربنـا.

شـمس العصريـة تتـلألأ عـلى البحـر. الأمـواج تتراقـص. النـوارس تغـني. و «وردة» تسـمَّرت مكانهـا كصخـرة، أعطيـت القـدرة عـلى الحديـث، كانـت ترتـل بخشـوع كل تفاصيـل حياتهـا.

«في أحـد أيـام نزلـة السـمان الـتي لا تُنـسى، في الصبـاح الباكـر، تجمهـر النـاس حـول دكان «المرجـاني» وجـدوه يبـكي بحرقـة. كنـت أنظـر مـن الشرفـة، رأيتـه يجلـس القرفصـاء أمـام بـاب دكانـه وقـد تـدلى رأسـه بـين فخذيه، في تلـك الأثنـاء سـمعت هتافًـا مـن بعيـد:

ابن المرجاني مات الدور جاي عليكم!

التفـتُّ بسرعـة ناحيـة الصـوت وتبينـت أنـه «مـرسي» صديـق ابـن «المرجـاني « في هـذه الأثنـاء وقـف المرجـاني وأخـذ يـصرخ ويقـول كلامًـا لا يليـق بشـيخ.

حتى نبهه أحدهم:

استغفر ربك يا حاج «مرجاني».

لكنه لم ينتهِ، بل زاد في كفره.

قال رجل يقف بجواره:

لا إله إلا الله. «المرجاني» كفر!

_ أيوة كفرت. كنت خذني أنا يا رب خذني وريحني.

ثـم زمَّ جسـده الهـرم وغـادر مسرعًـا، ومـا زال صوتـه الغاضـب يـتردد في أرجـاء المـكان، لحـق بـه الحـاج «مـرزوقي» وسـار معـه حـتى صعـدا لشـقة «المرجـاني». عـادت الأنظـار تتفحَّـص «مـرسي» الـذي كان يسـند ظهـره عـلى الجـدار ويُرخـي ذقنـه إلى صـدره ويُتمتـم:

الـدور جـاي عليكـم. ابـن المرجـاني مـات، أكلتـه الـكلاب، الـكلاب تقـول الـدور جـاي عليكـم فاهمـين يـا أهـل السـمان!! الـكلاب تتكلـم! غضـب مـن ربنـا حـل عليكـم.

انزلـق «مـرسي « ليتكـوم جسـده عـلى الأرض. وفي تلـك الأثنـاء ظهـر أربعـه رجـال قادمـين مـن أول الشـارع، يحملـون شيء يبـدوا أنـه جسـد مغطـى بقمـاش، وضعـوه أمـام دكان «المرجـاني « تحلـق النـاس حولـه وقـد عرفـوا انـه جثمـان «فهـر» ابـن «المرجـاني».

كشـفوا عـن الجثـة وجدوهـا نُهشـت! آثـار أنيـاب الـكلاب ومخالبهـا شـوهت الجثـة الـتي بـدت بـلا ملامـح. تراجـع النـاس للخلـف، ونهـض «مـرسي»، ركـض وارتمـى عـلى الجثـة وهـو يـصرخ:

الكلاب أكلتك يا صاحبي.

ثم أخذ يهز الجثة:

الـكلاب نهشـتك. أنـا كنـت واقـف جنبـه. لا. لا. دي مـش كلاب الـكلاب لا تتكلـم. الـدور جـاي عليكـم تكـون جثـه زي دي.

ثم انطلق يجري في الزقاق ينبح كالكلاب تمامًا.

كان الحـاج «مـرزوقي» يـضرب راحتيـه ببعضهمـا وهـو ينظـر لمـرسي يمـر بجـواره ومـا زال ينبـح.

قال أحدهم عندما شاهده قادمًا:

إلحق يا حاج «مرزوقي» جثة ابن «المرجاني».

سار بخطى حثيثة حتى وقف أمام الجثة:

لا حول ولا قوه إلا بالله. إيه اللي عمل فيه كدا!

قال نفس الشخص:

مرسي يقول هجمت عليه كلاب.

غادر «المرزوقي» بعد أن قال بصوت خائر:

شـيلوا الجثـة عـلى المشرحـة. لا حـول ولا قـوه إلا بـالله.

إيـه المصايـب الـلي حلـت علينـا؟!، ربنـا يكـون بعونـك يـا «مرجـاني».

نظـرت وردة لي وكأنهـا تنظـر لجثـة ابـن «المرجـاني» نظـرت للبحـر للسـماء وكأنهـا تريـد أن تتأكـد أنهـا ليـس هنـاك. أرخــت رأســها في ســكينةٍ وقالــت وهــي تداعــب المــاء بغصـن شـجرة صغـير:

لماذا يجعل الله أسبابًا للموت يا «ضاوي»؟

فكرت لدقيقة لأحصل على إجابة واضحة لم أجد.

قالت:

ربمـا كان لطفًـا مـن الله بعبـاده، لـو كنـا نمـوت هكـذا دون أسـباب مـاذا كان سـيحدث؟

لـم تنتظـر مـني إجابـة. واصلـت حديثهـا وهـي ترمـق المراكـب في عــرض البحــر:

«مـرسي» كان مُحِقًّـا. مـا حصـل غضـب مـن ربنـا. اختفـى ثلاثـة مـن أبنـاء نزلـة السِّـمان واختفـى «مـرسي» و«المرجـاني». والغريـب أني كنـت كل ليلـة أشـوف «المرجـاني» في الحلـم منـذ أن يصحـو، حـتى ينـام. أصبحـت أعيـش حياتـين! حيـاة «المرجـاني» وأنـا نائمـة،

وحياتي العادية وأنا مستيقظة. أحلام مُريبة يا «ضاوي» لدرجة أني كنت أسترجع روحي من هناك بالقوة، وأحيانًا أنام بالأيام عندما أفشل في استرجاعها. كنت أشوف في المنام أني واقفة على شباك غرفتي وأقفز في الهواء، وأنا نازلة تنبت لي جناحات، أرفرف وأطير وأحلِّق فوق سماء القاهرة، حتى أصل للقمر، أقعد على حفاته وأنظر للقاهرة أشوفها عبارة عن بقعة ضوء صغيرة وسط ظلام يريد ابتلاعها.

تمتزج الأزمنة ويختلط التاريخ في أحياء القاهرة. وأنا أحدِّق من فوق القمر أرى الناس يمارسون حياتهم فيها وأجسادهم عارية تمامًا!

أعجب ما رأيت كان في شارع المعز حيث اكتظ بالعُراة حتى «الحاكم بأمر الله» كان عاريًا وهو يسير بين حاشيته، لكن رجلًا واحدًا فقط يرتدي ملابسه! شيخ كبير في السن يرتدي جلبابًا أخضر وعِمَّة بيضاء تتدلى لحيته، طويلة اكتساها الشيب.

حدَّقت فيه مليًّا وهو يقف على أول شارع المعز ينظر للناس متفحصًا. وما هي إلا لحظات حتى رأيت خيال رجل يأتي من بعيد تتبعه أربعة كلاب. أعرف هذا الخيال جيدًا حدقت فيه فإذا به «المرجاني «

مـشى حـتى وقـف جـوار الشـيخ. تحدثـا قليـلًا ثـم انصرفـا مُسرعـين تتبعهمـا الـكلاب إلى زقـاق صغـير، حاولـت أن ألحـق بهمـا إلا أنـني اسـتيقظت.

تكرر هذا الحلم كثيرًا.

أحد الأيام قررت أن أُنهي هذا الكابوس.

# 5

مـا زالـت سـيارة الأجـرة تحلِّـق بنـا عاليًـا، ومـا زالـت الهواجـس تتصـارع داخـلي..

هـل يُعقـل مـا يحـدث؟! هـل يُعقـل أن أكـون برفقـة الشـيطان وجرجـس نُحلِّـق في سـماء الغردقـة! هـل يُعقـل أن يتحـول نصـف جسـدي إلى زنجـي!

ارتعـدت فرائـصي عندمـا جـاءني صـوت الشـيخ ذي الجلبـاب الأخـضر والعِمـة البيضـاء. فمـه ملاصـق لأذني، يهمـس. شـعرت بـدوار وأنـا أسـمعه. قـال بنـبرةٍ حـادَّةٍ كالسِّـكين:

أنـت الآن في عالـم الحقيقـة المجـرَّدة، سـتُفتح لـك عوالم جديـدة، لكـن إيـاك أن تخـاف فالخـوف خطيئـة. لـو خـاف «يهـوذا» لمـا حقـق نـصره، لكنـه خـان. لـم يخـن المسـيح بـل خـان هـذه اليـد ومـد يـده أمامـي، فكتبـت عليـه الذلـة ومـات شر ميتـة أمـا أنـت يـا «ضاوي» فلسـتَ كـ «يهـوذا « بينكمـا فـوارق عـدة. أنـت لـن تُصلـب لأنـك لـن تخـون. أليـس كذلـك؟ يهـوذا لـم يتمكـن منـه السَّـواد كمـا أنـت الآن أيهـا الحـواري!

تراجـع للخلـف قليـلًا، وأشـار للمدينـة المنبسـطة جـوار البحـر، كانـت الغردقـة تبـدو كامـرأة اسـتلقت عـلى الشـاطئ، قـال:

تمعَّن في هذا العري هل ترى خطيئة؟

لم ينتظر مني إجابة! واصل:

العري هو الوضوح الذي تفتقده البشرية وستفهم ذلك عما قريب. الجسد يا «ضاوي» هو الدليل الوحيد على الوجود.

ثم صمتَ للحظةٍ، وأضاف بنبرة حادَّة:

ماذا لو تخلصت من هذا الدليل!

ارتد بظهره للخلف ووجه كلامه لجرجس:

عُد بنا حالًا.

طوال هذه الفترة لم يتكلم جرجس وطوال هذه الفترة كنت أدعو الله أن ينقذني. كان الوقت نهاية النهار عندما وجدت نفسي وحيدًا في الهضبة! أسير في شارع تتزاحم على جانبيه المباني وتتزاحم في رأسي كلمات الشيخ ذي الجلباب الأخضر والعِمة البيضاء «العري هو الوضوح». «آخر نهار الجمعة خُلق آدم» وها أنا أشعر كأنني خُلقت من جديد. أُبصر كما لم أُبصر من قبل، أرى أخيلة الناس تسير بلا هدى. ظلال البنايات تتمدد على الشارع. الشمس على وشك المغادرة، والليل آت من الشرق ليجثم على الغردقة.

نظرت للسماء علَّني أرى شيئًا يؤكد لي ما حصل. ثمة قطع من السُّحب تلونت بلون الشمس تسبح إلى اللا شيء!

صرخت:

السحب عارية!

ظهر من بينها وجه الشيخ، صاحب الرداء الأخضر والعِمة البيضاء مبتسمًا. قال بصوت يدوي كالرعد:

بالضبط. وتذكَّر أن العري يعني الوضوح أيها الحواري!

أغلقت أذني بيدي وجلست على الأرض لا أريد أن أسمع شيئًا، لا أريد أن أرى شيئًا، لن أموت مصلوبًا لا أشبه «يهوذا». متثاقلًا قمت. لا بد أن أعود للدّهار.

الهضبة لا تبعد كثيرًا عن الدّهار. دقائق واستقليت الميكروباص المحشو بالكائنات البشرية. جلست جوار امرأة في الثلاثين من عمرها ترتدي فستانًا أسود، وطرحة سوداء بدا لي أنها ذاهبة لعزاء. خلفي جلس رجل صعيدي تبدو عيناه قلقتين، يسبح في عالم من التوهان، عن يمينه رجل طاعن في السن وجهه مهترئ يتوسطه أنف كأنف كلب. في آخر المكروباص شابة

تضـع سـماعات الموبايـل في أذنهـا وتنظـر مـن النافـذة للخـارج.

أتفحَّـص الـركاب عـن كثـب. أبحـث عـن الشـيخ ذي الجلبـاب الأخـضر والعمـة البيضـاء بينهـم، أخـشى أن أجـده!

رائحـة قطـة ميتـة تمـلأ المـكان. الميكروبـاص المثقـل بالبـشر يشـق طريقـه مـن بـين السـيارات بانسـياب. يطلـب أحـد الـركاب مـن السـائق تشـغيل المسـجّل بأغنية للسِّـت. ينسـاب صـوت «أم كلثـوم» ليخـترق قلـوب الغربـاء الذيـن جمعهـم طريـق واحـد. تـزداد عينـا الرجـل الصعيـدي الجالـس خلفـي تمامًـا قلقًـا، والوجـه المهـترئ جـواره يسـتعيد شـيئًا مـن نظارتـه. رائحـة القطـة الميتـة تتسـلل لأعمـاقي تزاحـم صـوت السـت وتتغلـب عليـه. من أيـن جـاءت هـذه الرائحـة النتنـة! أشـعر أنهـا تنبثـق مـن جـواري تمامًـا حيـث المـرأة الـتي ترتـدي السـواد. انعطـف الميكروبـاص لليمـين ليسـير في شـارع فرعـي، ينسـل مـن نافـذة السـائق هـواء محمـل بالرطوبـة، الليـل يُطـل بوجهـه مـن خلـف البحـر. التفـتُّ للمـرأة الـتي بجـواري لأسـألها هـل تشـمين رائحـة قطـه ميتـة إلا أنـني بمجـرد أن مِلـت بوجهـي ناحيتهـا أيقنـت أن الرائحـة النتنـة تنبعـث

مـن أعماقهـا!! وبحركـة لا إراديـة ابتعـدت بجسـدي عنهـا.

أغمضـت عيـني. مزيـج مـن الروائـح ينفـذ لداخـلي، رائحـة أفعـى، رائحـة خنزيـر.

صرخت في السائق:

توقف.

وقبـل أن يتوقـف الميكروبـاص قذفـت بنفـسي للخـارج أمسـكت بعمـود الإنـارة بينمـا جسـدي يميـل للأسـفل في محاولـة لاسـتفراغ الروائـح النتنـة مـن جـوفي. لا أعلـم مـا الـذي قـدم بـ «يهـوذا « في هـذه اللحظـة ليدلـف إلى أعمـاقي يسـتلبُني مـن لحظـتي تلـك، يقـف أمامـي وقـد تدلـت أمعـاؤه مـن جسـده. قلـت:

هل كنت تشم تلك الروائح يا «يهوذا»؟

قال بينما هو منشغل بإعادة أمعائه لجسده:

العري هو الوضوح يا «ضاوي».

اختفى!

اسـتعدت تـوازني. تفصلـني عـن الدهـار مسـافة قصـيرة. سِرت بخطـى تائـه.

مـاذا أريـد منهـم؟ مـاذا يريـدون مـني؟ الحقيقـة الوحيـدة هـي المـوت. المـوت هـو العـري. العـري هـو الوضـوح. لـن أمـوت مصلوبًـا، لكنـني سـأموت! «الجسـد دليـل الوجـود» هـل يكـون هنـاك وجـود للإنسـان بغـير هـذا الدليـل. مـاذا أريـد مـن الدهـار؟ متأرجـح! كل مـا أحتاجـه الآن هـو التمـدد عـلى الرصيـف وأن أبصـق عـلى هـذه الدنيـا!

لـم أخضـع لتلـك الرغبـة الجارفـة. سرت عـلى مضـض أسـحب قدمـي، شـابكًا يـدي خلـف ظهـري مطأطئًـا رأسي، أحمـل جسـد شـيخ عـاش منـذ الطوفـان العظيـم اكتـسى نصفـه باللـون الأسـود!

- يـا «ضـاوي». إن أجمـل مـا في الحيـاة هـي سـاعات الاحتضـار. فأنـت تجمـع كل الزمـن في لحظـة واحـدة ثـم تلفظهـا. لا تخـف ابحـث عـن مـكان هـادئ لتحتـضر. اذهـب إلى جبـل الشـيخ مثلًا. هنـاك الصحاري الشاسـعة. الصحـراء وحدهـا تسـتر روحـك. اذهـب حـتى لا تتعـرَّى أمـام النـاس حـتى لا يدفـن جسـدك. وثـق تمـام الثقـة أن الشـعور بالزمـن هـو عـدوك الأول والأخـير. اذهـب وبـارزه واقـضِ عليـه لـن يهتـم لأمـرك أحـد. ثـق بذلـك. ابصـق عليهـم كلهـم لا تسـتثني أحـدًا. تذكـر أنـك عندمـا

غـادرت ضبـاء قادمًـا للغردقـة كنـت تبحـث عـن أرض مسـتترة، فقـد مللـت عـري الجبـال والصحـراء، رغـم كل محاولاتـك لـم تسـتطع أن تتـوارى عـن جبـل شـار كلمـا نظـرت وجدتـه يحـاصرك ويشـير لـك بأصابعـه الثلاثـة نحـو السـماء! كانـت الباخـرة تشـق عبـاب البحـر وأنـت عـلى ظهرهـا متسـمرٌ عـلى مقعـدك تحـاول أن تُفـرغ جوفـك مـن طيـف الذكريـات، مـن رائحـة الأرض، مـن ملامـح طفولتـك الـتي لطخـت جـدران قلبـك، مـن الأصدقـاء، مـن اللحظـات. تركـت كل ذلـك خلـف ظهـرك. لـم تنتبـه لجبـال البيضـاء وهـي تتباعـد عنـك لتختفـي في الأفـق. لـم تنتبـه للمـوت الـذي كان يحلِّـق فـوق قريتـك. حركـت بـصرك بسرعـة عندمـا وقـع عـلى قمـة جبـل شـار تلـك القمـة الـتي طالمـا حلمـت وأنـت طفـل أن تصعدهـا، تريـد أن تمتطـي الشـمس وتصـل للسـماء. كنـت تقضـم تفاحـة وتحدثـك نفسـك: داخـلي مـليء بنفايـات الزمـن، مـليء رأسي بصـور مشـتتة لأحـداث بائسـة، مـا أنـا إلا مقلـب لنفايـات الوقـت!

أبعـدت التفاحـة عـن فمـك وأحكمـت قبضـة يـدك عليهـا ثـم أرجعـت رأسـك للخلـف وأغمضـت عينيـك. مـاذا لـو تخلصـت مـن كل ذلـك يـا «ضـاوي»؟ سـتنال الخلـود؟

حياتـك حصـاة أُلقيَـت في بحـر الزمـن الهائـج. ثـم إنـك اعتدلـت عندمـا سـمعت مكـبرات الصـوت في الباخـرة تنطـق باسـمك. لطالمـا تمنيـت أن يـوأد هـذا الاسـم. تعتقـد أن الاسـم دليـل عـلى الوجـود. هربـت حـتى تتخلـص مـن كل شي، لكـن الآن كل مكـبرات الصـوت تصـدح باسـمك. كـم كنـت أشـفق عليـك، بـل ضحكـت أيضًـا. كيـف سـتتخلص مـن كل هـذا؟ عندمـا اسـتلمت جـواز سـفرك عـدت لمقعـدك وتسـمرت تحـدِّث نفسـك مجـددًا دون أن تغمـض عينيـك. امتزجـتَ مـع صـوت محـركات الباخـرة توحـدتَ مـع الصـوت بـل غـدوت مجرد صـوت عابـر قبـل أن تظهـر لـك صـورة قاربـك الصغـير ويغلـب صـوت محركـه عـلى كل الأصـوات داخلـك. كنـت تقـول لنفسـك: كيـف لـم أهتـم لحـال ذلـك الغريـق الـذي كان يُصـارع الأمـواج؟!

لقـد مـررت جـواره بقاربـك. كان يسـتنجد بـك أن تمنحـه الحيـاة. توقفـتَ بالقـرب منـه لكنـك بـكل تمعـن أخـذت تراقبـه وهـو يغـرق! كنـتَ مسـتمتعًا وبعـد أن انتهـى المشـهد رميـت بسـنارتك في المـكان الـذي غـرق فيـه! هـل كنـت نادمًـا يـا «ضـاوي».

صرخـت بعـد أن توقفـت عـن المـشي ووضعـت يـدي

عـلى أذني لأمنـع هـذا الصـوت هـذا الهاتـف الـذي لا أعلـم مـن أيـن جـاء. نظـرت حـولي لـم أجـد غـير غـراب يـضرب بجناحيـه ويطـير عاليًـا!

# 6

اســتيقظت بعــد الفجــر مبــاشرة. كنــت قــد اســتعدت روحـي بصعوبـة بالغـة. قـررت تنفيـذ مـا اسـتقريت عليـه منـذ البارحــة. إنهـاء كابـوس «المرجـاني» للأبـد.

ارتديت ملابس الخروج وأوهمت والدتي، التي اعترضتني، أنني أريد أن أخرج لأتجول بين إسطبلات الخيول وأجهِّز العربة التي ستجرُّها الخيول في حال إذا ما قدِم سياح أجانب. فرحت أمي لهذا التغير المفاجئ، فمنذ أربعة أشهر وأنا ألزم البيت، منذ حادثة مقتل ابن «المرجاني». طلبت مني، وهي تربت على كتفي أن أنتبه لنفسي.

نزلت بخفة على الدرج ومشيت في الزقاق. مررت جوار دكان «المرجاني» المغلق منذ يوم الحادث، تخيلت جثه «فهر» المنهوشة مُلقاة أمامي في الطريق فارتعد جسدي.

نسمات الفجر تداعب وجهي، تجعلني أشعر بخفة كما لو كنت طفلة في طريقها للمدرسة، خيوط الشمس تلوِّن السماء تمهيدًا لقدومها. تبددت هذه الحالة عندما رأيت الغِربان تقف فوق البيوت بشكل مخيف، بأعداد كبيرة، نعيقها يهز الأرض.

أسرعت الخطى حتى وصلت للشارع الرئيسي. توجهت لموقف الميكروباصات. رائحة عوادم السيارات تملأ المكان وأصوات السائقين تتداخل تبحث عن الركاب. تتبعتُ صوتًا غليظًا:

تحرير.. تحرير.. تحرير.

وقفت أمام مصدر الصوت. رجل بدين يتدلى من فوق شفته شارب كثيف، نظر ناحيتي بعينين مُحمرتين:

تحرير؟

هززت رأسي بالتأكيد.

ما إن جلست على المقعد حتى سمعت صوت صفقة باب المكروباص، تلاه صوت المحرك. لحظات وكنا داخل السيارة على الطريق مبتعدين. الأهرامات تُطل على استحياء من خلف البنايات الحديثة لا تلبث أن تتوارى. لم يمضِ وقت طويل حتى وصلنا لموقف التحرير.

ترجلت مسرعةً. حتى وصلت بداية شارع طلعت حرب. ظهر لي الميدان من بعيد تطل عليه من كل الجهات عمائر ذات طابع معماري بديع. تجاوزت الميدان، سرت في شارع ضيق يقف الباعة على جانبيه. وصلت. النهار ما يزال في أوله، لم تتوهج الشمس بعد. وشارع «المعز» قطعة من زمن عظيم مضى إلى حال سبيله.

مـررت جـوار مسـجد «الحاكـم بأمـر الله» تقـف أمامـه مجموعـات السـياح الأجانـب يسـتعدون للدخـول. وصلـت الزقـاق الـذي أراه دومًـا في الحلـم. حيـث يختفـي «المرجـاني» والشـيخ صاحـب الـرداء الأخـضر. خفـق قلبي، كنـت قـد قـررت المغـادرة عندمـا اجتاحتـني المخـاوف عـلى شـكل أسـئلة.

«هل جننتِ يا وردة؟ تبحثين خلف حلم؟»

«هـل أنـت ضعيفـة إلى هـذا الحـد ليؤثـر فيـك منظـر جثـة منهوشـة رأيتهـا لمـدة لا تزيـد عـن دقيقـة واحـدة؟»

«ألا تعلمـين أن المـوت يتغـذى عـلى أرواح البـشر! فهـو لا يجـوع أبـدًا».

الأسـئلة تـدور بـرأسي وأنـا أمـام مدخـل الزُّقـاق. وبخطـى مرتجفـة قـررت أن أمـضي. الزقـاق متعـرج وضيـق بعـض المبـاني مسـنودة بأعمـدة خشـبية خشـية أن تقـع. بـدا الزقـاق خاليًـا مـن البـشر، ومـن أي شـكل مـن أشـكال الحيـاة. شـعرت أنـني أسـير في نفـق، شـعرت بانعـزال عـن العالـم. نظـرت خلفـي فرأيـت الزقـاق يمتـد إلى مـا لا نهايـة. أسـندت ظهـري إلى أحـد الحوائـط المتهالكـة. صـدري يعلـو ويهبـط بأنفـاس متلاحقـة وأنـا أسـمع صوت

ارتطـام إنـاء يقـع عـلى الأرض يبـدد هـذا الصمـت، الصـوت أتى مـن داخـل المبـنى الكائـن خلفـي. ألصقـت ظهـري بالجـدار بقـوة، وكأنـني أريـد أن أصبـح جـزءًا منـه. خفـق قلـبي بشـدة واجتاحـني الخـوف مجـددًا. قلـت لنفـسي في محاولـة لأن أسـتجمع قـواي:

«مجـرد إنـاء سـقط! مـا الـذي يجعلـني أتجمـد مـن الخـوف؟»

أجابني صوت غريب خارج من أعماقي:

لأنك تعلمين أن مخاوفك في طريقها للتحقق.

دفعـت البـاب بحـذر، وتشـجَّعت عـلى الدخـول. المبـنى عبـارة عـن غرفـة كبـيرة أرضيتهـا مـن الرخـام وفي زواياهـا الأربعـة أعمـدة مـن الرخـام، سـقفها مرتفـع جـدًّا.

النـور المنبعـث يكفـي لأرى بوضـوح كل مـا حـولي. لـم يكـن هنـاك أي منفـذ يمكـن أن يـؤدي لغرفـة أخـرى. المبـنى مكـون مـن غرفـة واحـدة ربمـا كانـت تسـتخدم سـجنًا أو مخزنًـا. ليـس هنـاك أثـر لإنـاء محطـم! أتجـول في المـكان، مُسـتغرقةً في جمـال النقـوش عـلى الجـدران، طـرق أذني صـوت «المرجـاني». وضعـت يـدي عـلى فمـي حـتى لا يصـدر مـني أي صـوت. تتبَّعـت الصـوت الـذي

بـدا أنـه ينبعـث مـن تحـت الأرض. لاحظـت رخامـة لـم تثبّـت بشـكل صحيـح. حركتهـا، كان ثمـة درج حجـري يهبـط إلى أسـفل. دون تفكـير مـني وجدتـني أنـزل الـدرج، عنـد منتصـف الـدرج تـراءت لي سـاحة كبـيرة تُنيرهـا بعض المصابيـح. كان الصـوت ينبعـث مـن الجهـة اليُمـنى، نظـرت إليهـا ونبضـات قلـبي آخـذة في التصاعُـد. رأيـت «المرجـاني» يجلـس عـلى الأرض وحولـه كلبـان جلسـا عـلى قوائمهمـا الخلفيـة، وبمواجهتـه جلـس الشـيخ صاحـب الـرداء الأخـضر وقـد ربـض جـواره كلبـان. «المرجـاني» يقهقـه بصـوت عـالٍ بينمـا انتظـره الشـيخ حـتى ينتهـي، وتحـدث بصـوت غليـظ:

عليك أن تقدم قربانًا آخر حتى تنال الرضى التام.

حدَّق المرجاني في الشيخ وقال مرتبكًا:

أخشى أن ينكشف أمري.

في هـذه الأثنـاء انتبهـت إلى أن أحـد الـكلاب الـتي بجـوار «المرجـاني» يحـدِّق فيَّ، كـدت أن أقـع عـلى الأرض. عـدت للخلـف وقـد سـمعت صوتًـا أجـش يخـرج مـن حنجـرة الكلـب يقـول:

وردة هنا. ألم أقل لكم أنها ستأتي.

صعـدت الـدرج بسرعـة. أسـمع جلبـةً خلفـي. خرجـت مـن فتحـة الرخامـة وركضـت في الزقـاق. لـم أسـتطع أن ألتفـت إلا عندمـا وصلـت لنهايـة الزقـاق. رأيـت صاحـب الـرداء الأخـضر يقـف بجـوار بـاب المبـنى يحيـط بـه كلبـاه. ينظـر باتجاهـي. واصلـت الركـض حـتى غـادرت شـارع المعـز. اسـتقليت مكروباصًـا غـير مصدقـةٍ أنـني خرجـت مـن هنـاك.

عندمـا وصلـت لنزلـة السـمان رأيـت النـاس يتجمهـرون حـول دكان «المرجـاني». نظـرت مـن وراء الجمـوع رأيـت «المرجـاني» يجلـس عـلى كـرسي أمـام الـدكان وقـد اجتمـع النـاس حولـه يهنئونـه عـلى رجوعـه سـالمًا. كان ينقـل عينيـه بينهـم مبتسـمًا. عندمـا التقـت عيناه بعيـني شـعرت بالخـوف رغـم أنـه ظـل محافظًـا عـلى ابتسـامته. لـم يتغـير فيـه شيء سـوى أن لحيتـه طالـت قليـلًا، أمـا ملامـح وجهـه فظلـت كمـا هـي نفـس الوجـه السـمين والعينـين الواسـعتيين والأنـف الطويـل.

أخـذ يحـدث النـاس أن سـيدي «السـمان» زاره في المنـام، وطلـب منـه العـودة إلى النزلـة.

هرعـت مسرعـة إلى البيـت. سـألت والـدتي مـتى عـاد «المرجـاني»؟ أخبرتـني أنـه عـاد قبـل سـاعة مـن الآن.

قلت وأنا أرتمي على الكرسي:

مستحيل! غير ممكن.

نظرت لي والدتي مستغربةً:

هل بك شيء يا ابنتي؟

لـم أُجبهـا، فلـو قلـت لهـا أنـني رأيتـه قبـل سـاعة مـن الآن في شـارع «المعـز» لـن تصدقـني.

لا أخفيـك يـا «ضـاوي» كنـت في قمـة الرعـب. أدرك أن شـيئًا غـير طبيعـي يحـدث مـن حـولي لكـني لا أعـرف موقعـي مـن هـذا الحـدث!

مـرت الأيـام و»المرجـاني» يـزداد إجـلالًا في نزلـة السـمان، أمـا أنـا فكنـت أعيـش في شـتات، نظرتـه المبتسـمة تُلاحقـني تنغـص عـليّ حيـاتي.

مـر أربعـة أيـام منـذ عـودة «المرجـاني» لـم أر فيهـا الحلـم المزعـج. غريـب. عـدت لحالـتي السـابقة، ولـم أعـد أغـادر غرفـتي. في الليلـة الخامسـة وقفـت في الشرفـة أنظـر للقمـر الـذي بـدا مكتمـلًا. أفكـر فيمـا يجـب عـليّ فعلـه. دعـوت الله أن يكتـب لي الخـير، بينمـا أنـا كذلـك لمحـت «المرجـاني « يسـير مسرعًـا يحمـل بـين يديـه شـيئًا

مـا. يلتفـت بـين حـين وآخـر ليتأكـد أن لا أحـد يراقبـه.

قـررت أن أتبعـه. خرجـت عـلى الفـور. سرت خلفـه بحـذر شـديد، سـلك الطريـق وراء الإسـطبلات متوجهًـا للهضبـة مبتعـدًا عـن البيـوت. توقـف في الطـرف الـشرقي للهضبـة. فتوقَّفـت خلـف شـجرة أرقبـه مـن هنـاك. أراه وهـو قائـم ينظـر باتجـاه الـشرق، حيـث يظهـر خيـال رجـل قـادم من بعيـد تتبعـه أربعـة كلاب. مـا إن وصـل صاحـب الـرداء الأخـضر والعمـة البيضـاء حـتى افـترش الأرض، توجـه المرجـاني إليـه ووضـع بـين يديـه ذلـك الـشيء الـذي كان يحملـه. قفـص مصنـوع مـن الخشـب أخـرج الشـيخ منـه ديـكًا أسـود وضعـه في حجـره، قبـل أن يضعـه عـلى الأرض ويـنزع رقبتـه عـن جسـده. تفجـر الـدم مـن الديـك. أمسـكه مقلوبًـا واخـذ يـرش الـدم. تلطخـت الأرض بدمـاء الديـك، الـذي رمـاه جانبًـا، مـا إن نفـد الـدم منـه، وقـف منتصبًـا ناظـرًا للقمـر يتمتـم تحـرك ثـم اسـتدار فوقـف مواجهًـا للمرجـاني بينهمـا بقعـة الـدم الحمـراء. ببـطء وخشـوع أقعـى «المرجـاني» عـلى ركبتيـه ينظـر للأعـلى ضامًّـا راحـتي يديـه أمـام وجهـه. أرخـى رأسـه وسـجد عـلى الدمـاء. ربـض كلبـان عـن يمـين «المرجـاني» والآخران عـن يسـاره. فـرد صاحـب الـرداء الأخـضر ذراعيـه وهـو

يـدور حـول نفسـه بسرعـة لدرجـه أني شـعرت بـالأرض تـدور، كـدت أقـع. تراجعـت للـوراء. ثـم اسـتدرت راكضةً لأعـود مـن نفـس الطريـق. تـتراءى لي بيـوت نزلـة السـمان كأنهـا أشـباح حمـراء يتصاعـد مـن بينهـا دخـان كثيـف. وقفـت في منتصـف الطريـق حائـرة، متأرجحـة، وسـقطت عـلى الأرض بعـد أن رأيـت القمـر يهـوي مـن السـماء في الظـلام. عندمـا فتحـت عيـني بتثاقـل لـم أسـتطع أن أرى جيـدًا. مـع ذلـك أمكنـني رؤيـة خيـال رجـل يجلـس جـواري، أغمضـت عيـني واسـتجمعت قـواي فنظـرت مـرة أخـرى كان وجـه المرجـاني أمامـي. ذعـرت، حاولـت النهـوض لأواصـل الهـرب لـم أسـتطع. وعندمـا حدقـت جيـدًا وجـدت أنـني في غرفـتي والمرجـاني يجلـس عـلى حافـة سريـري! قبـل أن أصرخ دخـل والـدي يحمـل بـين يديـه طبقًـا فيـه حسـاء. بـادره «المرجـاني» بالحديـث:

لقد أفاقت ابنتنا.

- لولاك ما استطعنا فعل شي.

- لولا الله يا حاج. أنا قمت بالواجب.

جلـس أبي عـلى حافـة السريـر الأخـرى، مسـح بيـده عـلى جبيـني، رمقـني بنظـرة حانيـة وقـال:

الحمد لله على سلامتك يا بنتي، اشكري الرجل الطيب.

جاء صوت «المرجاني»وقورًا:

أهـم شي أنهـا قامـت بالسـلامة يـا حـاج الشـكر لله وحده، خـلي بالـك منهـا تحتـاج لرعاية.

ثم وجه حديثه لي:

لن أتركك يا «وردة» لوحدك، لا تقلقي.

لـم أسـتطع الحديـث وكأنـني ابتلعـت لسـاني! أريـد أن أصرخ أن أقـول بأعـلى صـوتي «المرجـاني» سـافل. «المرجـاني» ابـن حـرام، لكنـني لـم أسـتطع.

قبل أن يغادر أبي الغرفة قال موجهًا حديثه للمرجاني:

أسيبك تشوف شغلك.

حاولـت أن أقـول لـه: لا تتركـني وحـدي برفقـة هـذا المجـرم. لكـني لـم أسـتطع، ألجمـني الذهـول. اقـترب «المرجـاني» مـني وقـال بصـوت حـاد خافـت:

تتجسـسي عـليَّ يـا «وردة»! مـا بقـي إلا أن ينكشـف أمـري عـلى يـد حـشرة مثلـك! لقـد وقعـتِ في يـدي البارحـة، كنـت أسـتطيع فصـل رأسـك عـن جسـدك لكنـني

تراجعـت، ليـس لأنـك تسـتحقين الحيـاة، ولكـن لأنـني أدبـر لـك أمـرًا آخـر.

وضع يده على خدي وواصل حديثه مستطردًا:

أنـت اخـترت قـدرك يـا حلـوة. أيـام وأتخلـص منـك، وتذكـري أن الديـك يحتـاج لدجاجـة حلـوة مثلـك.

ارتـد للخلـف عندمـا سـمع نحنحـة أبي، رفـع صوتـه ببعـض التعاويـذ. وقـف أبي عنـد البـاب ورفـع يديـه يدعـو بصمـت، التفـت إليـه «المرجـاني «مبتسـمًا:

أنت هنا يا حاج! تفضل.

- طمئنا على «وردة « يا أبو «فهر».

- خير. كل خير.

ثـم نهـض ليقـف جـوار والـدي، تحـدث إليـه بصـوت خفيـض، وأبي بـين حـين وآخـر ينظـر تجاهـي بينمـا يقـول مشـفقًا:

أجارنا الله.

أدركـت أن هـذا الخبيـث دبـر لي مكيـدة، وأنـا كفراشـة علِقَـت في شـباك العنكبـوت، غـير قـادرة عـلى الحركـة

ولا عـلى التفكـير. انـصرف «المرجـاني». أطلـت أمـي مـن خلـف أبي، اقتربــت مـني، قبَّلتـني وهـي تقـول:

عافاك الله يا بنتي.

قـررت مكاشـفة أبي بمـا حصـل البارحـة، قـررت أن أكشـف حقيقـة «المرجـاني». حكيـت لـه عـن تفاصيـل مـا حـدث مـن شـارع «المعـز» حـتى «الهضبـة»، لكـن أبي أمسـك بيـدي مشـفقًا، غمغـم:

لا حول ولا قوة إلا بالله. صدقت يا شيخ.

ثم انحنى عليَّ وقبَّلني، وقبل أن ينهض مغادرًا قال:

«المرجـاني» دا ولي مـن أوليـاء الله الصالحـين، عيـب تقولي عليه سـاحر.

وقف جوار الباب فلحقت به أمي:

ما قا لك «المرجاني» لم تحاول الانتحار؟

- مـا قالـشي يـا «زينـب». هـو قـال شـافها وهـي ترمـي نفسـها مـن الشـباك. يقـول معمـول لهـا عمـل.

- عيني عليك يا بنتي.

- صوتك يا «زينب».

قالت:

«المرجاني» سره باتع.

# 7

مـا زلـت أواصـل سـيري نحـو «الدهـار» وقـد اختفـى الصـوت كمـا اختفـى الغـراب في ظلمـة السـماء. نفحـات الهـواء المحمَّـل بالرطوبـة تجتـاح رئـتي تاركـةً رائحـة أصـداف البحـر بأعمـاقي.

تذكـرت في هـذه الأثنـاء أول يـوم لي في الغردقـة كنـت قادمًـا مـن ضبـاء، أقـف في المينـاء البحـري تائهـا، أسـير مـع جمـوع النـاس حـتى أنهيـت إجـراءات القـدوم وخرجـت إلى الشـارع. كانـت الغردقـة تلـف الظهـيرة عـلى خصرهـا، حـرارة الشـمس الشـديدة جعلتـني أقـف تحـت ظـل بوابـة المينـاء مستلبًا مـن ذاتي. هـذه أول مـرة أغـادر بلـدي، ولأول مـرة منـذ ثلاثـين عامًـا لا أرى جبـل شـار يلـوح في الأفـق ذلـك الجبـل العظيـم الـذي ما كـفَّ يومًـا عـن الإشـارة للسـماء بأصابعـه الثلاثـة. لا أراه اليـوم.

كان لا بـد مـن القـدوم للغردقـة كي أُنهـي كابوسًـا لازمـني طـول حيـاتي. قالـت لي العرافـة «هدّابـة»:

اذهـب للبلـدة خلـف البحـر، وكـن حـذرًا فطريـق الحيـاة هـو ذاتـه طريـق المـوت!

صوت سيارة عابرة طرد هذه الخواطر من رأسي.

لاح لي «الدهـار» أسرعـتُ الخُطـى. القمـر اسـتوى في سـماء الغردقـة. مـررت جـوار قطـة منشـغلة بلعـق أحـد قوائمهـا، تجاوزتهـا دون أن تعـيرني انتباههـا. بـدأت رائحـة العفـن تتصاعـد مـن حـولي. المـكان يعـج بروائـح كثـيرة ممتزجـة ببعضهـا. أصـوات تتعـالى وتتداخـل حـتى

أصبحت واحة من الهرج والمرج. من بعيد تظهر أجساد تسير بفوضى، ورقاب تشرئب فوق تلك الأجساد، وأخرى انكمشت، وعيون تتفحص المكان جيدًا، وأنوف انشغلت بالتمييز بين الروائح. وصلت تلك المساحة المحشوة بالكائنات، أتحرك بينها بصعوبة، محاولًا سحب جسدي من غابة الأجساد تلك، فكرت للحظة في حديث الشيخ صاحب الجلباب الأخضر والعمة البيضاء:

الجسد هو الدليل الوحيد على وجودك ماذا لو فقدت هذا الدليل!

كم أتمنى لو أفقد هذا الدليل الآن. خاصة وأنا أشعر أنه عند ملامستي لجسد أحدهم أنني أخترق ذلك الجسد، أتجوّل داخله، أُلِمُّ بكل مكنوناته. بل أشعر أنني صاحب ذلك الجسد الملاصق لجسدي! يحدث ذلك في لمح البصر، إلا أنه يخلِّف ألمًا في نفسي كألم الولادة بالنسبة للطفل الخارج من عالم هادئ إلى عالم رطب عفن. المكان رطب عفن أيضًا وأنا أحاول أن أنزلق بجسدي من بين تلك الأجساد، محاولًا أن تستقر روحي من هياجها. وصلت لساحة تُعرض فيها البضائع بشكل عشوائي. ملابس بسطت على الأرض.

ألعـاب أطفـال. تماثيـل لملـوك مـصر القدامـى. وعربـات تبيـع شـطائر الكبـدة والفـول والفلافـل.

في نهايـة السـاحة لمحـت زقاقًـا عـلى جانبـه محـل عصائر، ومـن خلفـه وفي الأفـق القريـب تُطـل مئذنـة طويلـة تخـترق السـماء، بجوارهـا جمعيـة الشـبان المسـلمين.

كنـت قـد مـررت أمامهـا هـذا الصبـاح برفقـة جرجـس. جلسـت عـلى أحـد الكراسي أمـام محـل عصير القصـب، أتأمـل هـذا الصخـب مـن حـولي، أرقـب تلـك الأجسـاد. بينمـا أنـا مسـتغرق في التأمـل شـعرت بيـد تلامـس كتفـي، شـخص يقـف خلفـي تمامًـا، الغريـب أنـني لـم أشـم رائحـ تنبعـث منـه. ولـم تحـاول روحـي التسـلل لجسـده، لـولا حركـة يـده عـلى كتفـي لظننـت أنـه جمـاد! بـدا لي جسـده متجمـدًا، ربمـا متوقـف عـن الحيـاة! أوقفـت رغبـتي في الالتفـات والنظـر إليـه، فالنظـر يخدعنـا في معظـم الأحيـان. قـررت ألا أتعامـل مـع هـذا الشـخص، لـن أجعلـه يشـغل بـالي، فقـط حاولـت رفـع يـده عـن كتفـي فجـاءني صوتـه هامسًـا وهـو يسـتجيب لمحاولـتي:

في زمـن بعيـد يـا «ضـاوي» وفي مسـاء يشـبه هـذا، جلـس رجـل عـلى طـرف أحـد أسـواق الجليـل ينظـر للنـاس مـن حولـه بعـين العطـف يتأملهـم كيـف يتأرجحـون بـين

الضـلال والهـدى.

سـحب كرسـيًّا وجلـس، أرى جسـده بطـرف عيـني، كتلـة مـن السّـواد! لـم تتغـير نـبرة صوتـه الهادئـة وهـو يقـول:

عندمـا علمـت فتـاة مـن الناصريـة بالظـلام الـذي سـيحل عـلى «الجليـل» قامـت بجمـع الفراشـات مـن الحقـول ووضعتهـا في جـراب ثبتتـه حـول خصرهـا. جمعـت عـددًا كبـيرًا جـدًّا. بعـد ثلاثـة أيـام كانـت تقف فـوق قمـة الجبل الـشرقي، تُطـيّر الفراشـات الـتي كانـت تحلّـق عاليًـا لتنـير سـماء «الجليـل». كان النـاس يتدافعـون نحـو المدينـة وقـد أصابهـم الهلـع، يحملـون مشـاعل هزمهـا الظـلام. انشـقّت الأرض مـن تحـت أقدامهـم لتخـرج منهـا جثـث تسـير عـلى غـير هـدى. لأول مـرة يسـير المـوت والحيـاة في طريـق واحـد. في تلـك الأثنـاء غـادر ذلـك الرجـل.

صمت للحظة ثم همس:

عليك أن تغادر في الوقت المناسب يا «ضاوي».

دون أي بـادرة نهـض ذو الكتلـة السـوداء وغـادر! سـمعت خطواتـه تبتعـد.

وقفـت عـلى الفـور، سرت في الزقـاق باتجـاه المسـجد، مـا

إن مشيت بضع خطوات حتى سمعت صوت امرأة تنادي خلفي، تقترب، أمسكت يدي وهي تقول:

حاجة لله.

كانت روحي تستعد للتجول في جسدها المتهدّل لولا أني سحبت يدي من بين يديها، وسرت مبتعدًا. خرجت إلى شارع رئيسي تمتد المباني وأعمدة الإنارة على جانبيه، مزدحمًا بالسيارات والمشاة.

بجوار إحدى الأشجار المغروسة على الرصيف ربض كلب أبيض تمتد بين عينيه بقعة سوداء تصل إلى أنفه. اقتربتُ منه تشدني إليه الرائحة الزكية التي تفوح من أعماقه، رائحة فتاة نفاذة تغلغلت إلى أعماقي. شعرت بارتياح، أخذت نفسًا عميقًا وأغمضت عيني. رأيتني أركض في بستان مليء بالزهور، تجاه فتاة فاتنة تعبث الريح بردائها فيُظهر ساقيها اللذين يشعّان نورًا. تنظر بغنجٍ، فاردةً ذراعيها، احتضنتُ جسدها الغض، يشتد هياجي. وبينما أجذبها إليّ بقوة، تلاشت إلى فراشات كثيرة تطير حولي.

الكلب ينبح بشدة، يتطاير الشرر من عينيه. اقتربت منه أكثر حتى جلست جواره، أمسح بيدي على

جسـده، طـارت الفراشـات المختبئـة تحـت فـروه محلقـةً في السـماء! مـرَّرت أنفـي عـلى جسـد الكلـب كي يمتـلئ داخـلي بعبـق الفتـاة.

نهضـت لأواصـل سـيري، الكلـب يتبعـني، توقفـت أمـام محـل واجهتـه زجاجيـة، نظـرت في وجهـي المنعكـس عـلى الواجهـة، وجـه مقسـوم بلونـين! تأملتـه جيـدًا، حاولـت إقنـاع نفـسي أن هـذا وهـم، لا سـيما أن كل مـن ينظـر إليّ لا تصـدر عنـه أي ردة فعـل غـير طبيعية. نظـرت لانعكاس الشـارع عـلى الزجـاج، والكلـب الـذي كان يديـر رأسـه للخلـف كأنـه لا يرغـب في مشـاهدة جسـده المنعكـس عـلى زجـاج الواجهـة. قلـت لنفـسي يكفيـني وجـود هـذا الكلـب لـكي يشـبع داخـلي برائحـة تلـك الفتـاة، وتسـتقر روحـي.

مضيـت يتبعـني الكلـب نجـوبُ شـوارع الغردقـة في مسـاء قاتـم. رغـم ازدحـام الشـارع إلا أنـني شـعرت بالفـراغ، شـعرت أنـني تائـه أسـير في صحـراء قاحلـة يلـوح أمامـي شـبح المـوت بـين حـين وآخـر. وصلـت إلى المسـجد. ارتقيـت أولى الدرجـات الصاعـدة إليـه حـتى صـدح صـوت الأذان عاليًـا. دخلـت، جلسـت في الركـن المواجـه للبـاب الرئيـسي. كان الفـرش وثـيرًا، سـجاد أحمـر مطـرز بخيـوط

ذهبيـة، أمـا الجـدران فقـد طُليـت باللـون الأبيـض والأعمـدة الأسـطوانية الـتي تحمـل السـقف طُليـت بلـون أخـضر، المنـبر من الخشـب زُيِّـن ببعـض الآيـات القرآنية. شـعرت بطمأنينـة وسـكينة تتغلغـل لروحـي.

لـم يمـض وقـت طويـل حـتى توافـد المصلّـون. وقفـوا في صـف طويـل خلـف الإمـام، وقفـت في نهايـة الصـف، كتفـيّ يلامسـان الشـيخ الـذي يقـف جـواري، الرائحـة المنبعثـة منـه تغلـب رائحـة الفتـاة الـتي لا تـزال داخـلي، رائحـة الشـيخ تشـبه رائحـة نبـات «الرفـل». شـعرت براحـة ولـذّة.

خرجـت بعـد انقضـاء الصـلاة، أشـعر بسـعادة وخفـة، كأنـني مولـود مـن جديـد، غسـلت روحي مـن كل الشـوائب الـتي علقـت بهـا. سرت مبتعـدًا أنـوي التوجّـه لجمعيـة الشـبان المسـلمين. مـررت بالعديـد مـن المحـلات في طريقـي. ابتعـدت كثـيرًا عـن المسـجد. شـعرت بـدوار. توقفـت ونظـرت للأفـق. السـماء سـوداء داكنـة. أمعنـت النظـر فيهـا رأيـت صاحـب الـرداء الأخـضر يقطـف النجـوم ويقذفـني بهـا ويُقهقـه:

لقد ضللتَ أيها الحواري.

اخترقتْ إحدى النجمات جمجمتي فهويتُ صريعًا.

# 8

في التاسعة صباح يوم الجمعة استيقظت على صوت والدي وهو يقول:

جالك الفرج يا «عبدالعال». ياما أنت كريم يا رب.

نهضت. بسرعة توجهت إليه، كانت أمي قد سبقتني، كان جالسًا في فراشه وقد رفع يديه نحو السماء يلهج بالشكر، سألته والدتي بصوت مخنوق:

خير يا حاج؟

نظر ناحيتي. بسط كفيه إلي وقال:

تعالي يا بنتي. يا بركة.

تقدمت على مهل، وضع يده على رأسي ونظر في عيني قبل أن يهتف:

الله أكبر الله أكبر. بركاتك يا «مرجاني».

أعادت أمي سؤالها لكن هذه المرة بسعادة مشوبة بحذر:

خير يا حاج؟!

لم يرفع أبي يده عن رأسي وهو يُجيب أمي:

خير. كل خير. مش قلت لك البنت دي مبروكة. زارني سيدي «السمان» في المنام بسببها. شوفه الأولياء في المنام حق يا «زينب». وجهه يشع نورًا. وقف قدامي وقال:

اسمع يا عبد العال. أنا آمرُك أن تزوج بنتك للمرجاني.

أصابني ذهول. ووجوم. إلا أن زغرودة مجلجلة خرجت من حنجرت أمي أعادتني للواقع.

نهضت. مررت جوار أمي. قالت:

يا بنتي اسمعي كلام أسيادنا.

وصلت إلى غرفتي، ارتميت على السرير. لحقت بي، تقول:

اسمعي يا «وردة «. كلام أسيادنا أوامر. أنتِ لا تعرفين ما حصل للحاج «طُلبة» لما زاره سيدي «السمان» في المنام وطلب منه فلم ينفّذ. جُنّ!

لم أُجبها. دفنت رأسي في الوسادة. شعرت أنني مجرد نطفة تتجه نحو رحم مظلم ليتني أستطيع مغادرة الكون إلى رحم أمي.

لم يكن الظلام الذي صنعته بإغلاق عيني ظلام عاديًّا. كان يشبه ظلمة الأرحام، يطوف حولي فأشعر أنني أغرق في دوامات من الظلام.

فتحت عيني بفكرة: سأهرب.

أمسكت بيديها، كانتا ترتجفان. سألتها:

ما بك يا «وردة»؟!

قالت وهي تنظر لسفينة تمخر عباب البحر:

لم أصدق أنني فعلت ذلك يا «ضاوي».

ما إن حلَّ المساء حتى وقفت في الشرفة أنتظر صعود القمر، خصوصًا وأن الليلة ليلة اكتماله. مرت الساعات وأنا أنتظر! وبين حين وآخر أنظر لأبو الهول الجامد في مكانه، لطالما أحسست أنه ولي من أولياء الله الصالحين. استوى القمر الأحمر فوق رأسه. تملكتني الدهشة وأنا أرى الدماء تتقاطر منه لتصبغ التمثال بالاحمرار. شككت في أن ما أراه ليس غير سحر. خُيَّل إليّ في تلك اللحظة أن أبو الهول قادر على النهوض والتحرك بعيدًا. تسلل الخوف إلى نفسي وأنا أسمع صوتًا غليظًا كأنه قادم من أعماق الزمن:

هيا يا «وردة». لا وقت لديك. اقتلي الطغيان وتذكري أن النبوة لا بُد أن تتحقق. احملي معك كل المحيطات

واسكبيها على النار.

الضوء الأحمر يغشى واجهات بيوت نزلة السمان. مشيت كشبحٍ! خرجت من البيت. غرفه «المرجاني» في البناية المجاورة عن يساري. قررت أن أنفذ خطتي، خصوصًا أنني على يقين أنه في غرفته.

الوقت متأخر. الأزقة خالية من الناس. تسللت بحذر حتى دلفت إلى داخل العمارة. تجاوزت مدخلها بسرعة وصعدت السلالم بخفة حتى وصلت لغرفة «المرجاني». وضعت قفلًا على الباب من الخارج. ثمة نافذة مفتوحة مؤمَّنة بسياج حديدي. أخرجت الكبريت وزجاجة صغيرة مليئة بالبنزين الذي رششته على النافذة لينساب إلى داخل الغرفة ثم قذفت بعود الثقاب المشتعل باتجاه البنزين فاشتعلت النيران بسرعة وغضب. سمعت «المرجاني» يصرخ. ركضت مبتعدةً عن مكان الحريق. ابتعدت عن نزلة السمان، وصلت للهضبة التي كان يقدّم «المرجاني» عندها القرابين. نظرت خلفي فرأيت نزلة السمان تحولت لجحيم. النار في كل مكان. حتى الشهب كانت تتساقط من السماء تباعًا. نظرت لأبو الهول لم أره في مكانه. غادر. الأهرامات فوّهات براكين تصبّ الحمم.

واصلت ركـضي باحثـةً عـن ملجـأ حـتى وصلـت إلى طريـق تمــر فيــه الســيارات. توقفــت إحداهــا فاســتقليتها إلى الغردقــة. نزلــت في الدهــار.

# 9

اســتيقظت في غرفــة مبنيــة بالطــين. أرضيتهــا مفروشــة بالقــش، ســقفها ســعف النخيــل. نهضــت بتثاقــل وأنــا أرقــب المــكان بنظــرات قلقــة.

كلـب يقـف أمـام بـاب الغرفـة المغلـق، اعتدلـت، جـرى تجاهـي وهـو يصـدر أصواتًـا خافتـة، فـرح باسـتفاقتي! وقـف أمامـي وقـد تسربـت رائحـة الفتـاة داخـلي ممـا أعطـاني نشـوة.

جلست مسندًا ظهري للجدار أتساءل في صمت:

ما الذي جاء بي إلى هنا؟

لـم أكـن أذكـر سـوى النجـوم وهـي تخـترق جمجمـتي. بعدهـا فقـدت الوعـي تمامًـا.

ضـوء الشـمس المتـسرب للغرفـة أفقـدني الإحسـاس بالوقـت. لا أعلـم كـم مـضى مـن الوقـت وأنـا في هـذه الحجـرة. تتزاحـم اللحظـات لتخـترق جمجمـتي. تنسـل لداخـلي عـلى شـكل عـرض سريـع وصـوت يتأجـج ينفجـر:

كل شي يقـدر الإنسـان عـلى تخيُّلـه وارد الحـدوث. فـكل هـذه الخيـالات مـا هـي إلا خلفيـات وخـبرات مـن عالـم آخـر عشـته. لا تسـتنكر شـيئًا يـا ضـاوي. لا مسـتحيل!

شـعرت بالضجـر. نهضـت وقـد قـررت استكشـاف المكان، ربمـا أجـد إجابـة لسـؤال يداهمني:

هل أنا في الطريق الصحيح؟

سـأعود بعـد عمليـة الاستكشـاف إلى الدهـار وأنفـذ مهمـتي. سـأبحث عـن صاحـب الكتلـة السـوداء وأخـبره أني غـادرت في الوقـت المناسـب. ومـن ثـم أتوجـه لجمعيـة الشـبان المسـلمين، لأُنهـي هـذا الكابـوس للأبـد. لا بـد أن أجـد الحـل هنـاك. فـكل الإشـارات الـتي أخبرتـني بهـا العرافـة تـدل عـلى ذلـك.

تحركـت يتبعـني الكلـب، فتحـت بـاب الغرفـة. مـا إن ألقيـت نظـرة للخـارج حـتى شـعرت أنـني أهـوي في ثقـب مـن السـواد.

ليـس سـوى صحـراء قاحلـة عـلى امتـداد النظـر، وكثبـان رمليـة في اتجـاه الـشرق، وصخـور ضخمـة تقـف غربًـا وبينهمـا تقـع هـذه الحجـرة، وشـجرة سـدر ضخمـة وبقايـا جـدار طويـل.

تهاويـت بجسـدي عـلى الأرض وأنـا أسـمع عويـل الريـح، وكأنهـا امـرأة ثـكلى! جلسـت القرفصـاء أمسـكت قبضـة من الرمـل ورميتهـا بغضـب في الأفـق، تلاشـت إلى لا شيء. لـم أشـاهد عـلى الرمـل أي أثـر لأقـدام، مـا يعـني أنـني مكثـت هنـا وقتًـا طويـلًا أتـاح للريـح محـو الأثـر! أو أني أتيـتُ هنـا بطريقـة غـير اعتياديـة!

نهضت وقد قررت التوجه نحو تلك الصخور، سرت على مضض يتبعني الكلب، تتطاير الفراشات من جسده وتختفي في الأفق. تبعني مطأطئًا رأسه بينما الغرفة وشجرة السدر العملاقة تتلاشيان خلفنا بين الرمال. الشمس تقف فوق الصخور تمامًا، تمنحها مشهدًا مهيبًا ومخيفًا. يفصلني عن بلوغها منحدر رملي. جلست لأستريح فوق قمة من الرمال البيضاء تُطل على المنحدر، ربض الكلب بجواري باسطًا ذراعيه، استلقيت على ظهري مشبكًا يدي تحت رأسي أحدق في السماء. وجه العرافة «هدابة» يتشكل أمامي، جاءني صوتها:

السواد أول العلامات وآخرها الماء، لقد خلقت يا ولدي بعد انفجار نجم حدث منذ مئات السنين وستعود لذرات صغيرة من التراب..

تلاشت العرافة. سمعت صوتًا قادمًا من جوف الأرض غلب صوت عويل الريح:

إن أجمل ما في الحياة هي ساعات الاحتضار.

انجلى هذا الصوت ليتشكل أمامي على صفحة السماء وجه صاحب الرداء الأخضر والعمة البيضاء يقول

بصـوت مجلجـل:

لعلـك جربـت لـذة العـري أيهـا الحـواري. ليسـت الأشـياء كمـا تراهـا بعينـك، بـل كمـا تشـعر بهـا. كمـا تشـمها وتتذوقهـا وتخترقهـا.

في هـذه اللحظـة شـعرت أن كل هـذا العالـم يجثـم فـوق صـدري، اختنقـت كأن مـاردًا عملاقًـا يخنقـني بيديـه. جئت للغردقـة هاربًـا مـن صحـراء تلـد المـوت لأجـد نفـسي في صحـراء قاحلـة جـرداء تعبـث فيهـا الريـاح! جئـت باحثًـا عـن رحـم امـرأة يخبئـني مـن المـوت. لكـني لـم أكـن أدرك أن الرحـم طريـق للمـوت. كمـا هـو طريـق للحيـاة!

يـا «ضـاوي» الصحـراء لا تلـد المـوت ولكنهـا تعطيـه الغـذاء. ليسـت غلطتـك أبـدًا أن تفـر مـن القبيلـة. لقـد رأيتـك عندمـا أصبـتَ بالفـزع وأنـت تشـاهد أرواح العجائز تلتصـق بأجسـاد الصبيـة وهـم يتقافـزون تحـت زخـات المطـر. أرواح بشـعة تعلقـت حـول رقـاب الصبيـة. وكنـتَ تقـف وحـدك تحـت بيـت الشـعر ترقـب الأحـداث في صمـت. تحـاول ألا تنبـت لـك جـذور تتغلغـل داخـل الأرض. خرجـتَ مـن بـين أجسـاد العجائـز الفارغـة. مبتعـدًا تحـت المطـر. إلى أن وصلـت لقـبر جـدك. القـبر تحـت سـفح جبـل شـار. جلسـتَ في تجويـف صخـري.

شـعرتَ كأنـك قطعـة مـن هـذه الصخـور قاربـت عـلى التوحُّـد معهـا. إلا أن الفـزع الـذي أصابـك وأنـت تشـاهد جثـة تنبـت مـن قـبر جـدك جعلـك تركـض بعيـدًا ولا تعـود!

لـم تكـن توقـن بعـدُ أن عـدوك الأوحـد هـو شـعورك بالزمـن، لـو اسـتطعت قتـل هـذا الشـعور لنجـوت، والفرصـة الآن بـين يديـك. اقتلـه. وتذكـر أن أجمـل اللحظـات هـي الـتي يتوحـد فيهـا الزمـن سـاعة الاحتضـار. انهـض وواصـل سـيرك.

اختفـى الصـوت محدثًـا دويًّـا في روحـي. الأتربـه تتسـلق السـماء ممتطيـةً ظهـر الريـح.

نزلـت المنحـدر أشـعر بذبـول أصـاب جسـدي. تبعـني الكلـب. الأرض أسـفل المنحـدر صلبـة قاسـية. اقتربـت مـن الصخـور المتناثـرة حـتى وصلـت إلى صخـرة بارتفـاع قامـتي، نبتـت أسـفلها شـجرة رمـث صغـيرة. انحنيـت لألمـس أول مشـهد للحيـاة. عندمـا مـددت يـدي اليـسرى لأكـسر أحـد أغصانهـا. أصابـني الذهـول. يـدي اليـسرى سـوداء تمامًـا. اسـتحوذ السـواد عـلى كامـل جسـدي.

بـدا شـكل الصخـور مهيبًـا وهـي تطـرح ظلالهـا الضخمـة

عـلى جسـد الصحـراء العـاري. واصلـت سـيري أحمـل بيـدي اليـسرى غصـن شـجرة الرمـث. يتبعـني الكلـب الذي انتـشرت عـلى جسـده الثقـوب. توغلـت. صـوت عويـل الريـح يقـترب. تبعتـه، حـتى وصلـت لجبـل أملـس بـدا وكأنـه بوابـة ضخمـة تـؤدي لعالـم آخـر! صـوت الريـح يحـاصرني مـن كل الاتجاهـات، يـكاد يبتلعـني. انتبهـت لنتـوءات مبعـثرة عـلى الجبـل. أتبـيّن الأمـر، بـدا أنهـا نقـوش. عبـارة عـن أربـع رسـومات، واحـدة تحمـل صـورة الشـيخ صاحـب الجلبـاب الأخـضر والعمـة البيضـاء. يحاذيهـا نقـش لوجـه جرجـس. الثالـث لي يصـورني قتيـلًا ممـددًا عـلى الأرض، والنقـش الرابـع لكلـب يقـف جـوار جثـتي!

صـوت الرعـد نذيـر قـادم مـن السـماء. لـم أكـن أعلـم لِـمَ تخـرج أحلامـي مـن مخابئهـا عنـد سـماع هـذا الصـوت! سـأموت في يـوم ممطـر رغـم أن المطـر يمنحنـا الحيـاة. هـل سـيكون المـوت ممتعًـا تحـت المطـر؟ هـل سـيحملني هـذا الهديـر حيـث السـماء؟ بـدأت كتـل عملاقـة مـن السـحب تتوسـط السـماء. الريـح هـدأت وانسـلّت لمـكان قـصيّ خلـف الجبـل. السـماء سـوداء. والصخـور كأشـباحٍ تُحـاصرني. نظـرت للكلـب. الفراشـات

تتطايـر مـن جسـده بكثافـة حـتى تـلاشى. اسـتلقيت عـلى الأرض وشـعرت أن الظـلام يبتلعـني.

# 10

كنــت في الحافلــة أنظــر لشــوارع الغردقــة، والســماء تتمخّــض عــن شــمسٍ جديــدةٍ. لــم أنــم طــوال الطريــق، لــم يفــارق مخيلــتي مشــهد احــتراق نزلة الســمان والشــهب المتســاقطة مــن الســماء، الحمــم المتدفقــة مــن أعــلى الأهرامــات. واختفــاء أبــو الهــول.

عندما توقفت الحافلة في محطة النقل ترجَّلت منها، لم آخذ غير حقيبة صغيرة. سرت على غير هدى! تشابهت الوجهات، الشمس تتوهَّج شيئًا فشيئًا في سماء الغردقة، الهواء المثقل بالرطوبة يأتي برائحة أصداف البحر. الكثير من الناس يسير في اتجاهات مختلفة بآمال مختلفة. السيارات تتدفق مع الشوارع بانسياب تام.

كيف سأعيش هنا! ربما كان عليّ اقتلاع كل ذكرياتي وغرسها في شوارع الغردقة!

قالت:

حياة البشر يا «ضاوي» عبارة عن خيوط متشابكة من الألم والمتعة. على هذه الخيوط الهشّة يشيد البشر الحياة. ليتني أعود طفلة لم تنبت لها جذور بعدُ، كيف أنبتتني تلك الطفلة وأين مضت؟!

مسحت وجنتيها المبللتين بالدموع. نظرت في عينيها القلقتين. قلت لها:

هيا أتمّي حكايتك. فما نحن إلا حكايات تروَى!

أعادت رأسها للخلف، تنظر للسماء:

كنـت قـد وصلـت للدهـار، كل مـا يشـغلني معرفـة مـا حـدث لنزلـة السـمان. جلسـت بأحـد المقاهـي أسـترق السـمع. كانـت أحاديـث زبائنـه عاديـة. وقفـت أمـام التلفـاز المعلّـق. لا أخبـار.

قبـل أن أغـادر دلَّـني الجرسـون عـلى بنسـيون قريـب، كنـت أشـعر أن جسـدي مجـرد كتلـة لزجـة تتدحـرج في طرقـات الغردقـة فلـم أعـد أشـعر بـذاتي!

تجـاوزت حشـود النـاس. وقفـت أمـام بنـاء قديـم كتـب عـلى واجهتـه بنسـيون السـعادة. طلبـت مـن موظفـة الاسـتقبال حجـز غرفـة بسـعر زهيـد. امـرأة في السـتينات مـن عمرهـا، شـعرها الأبيـض بالـكاد يلامـس كتفيهـا. ترتـدي نظـارة طبيـة تغطـي نصـف وجههـا الطويـل. بـدت مُريحـة. جلـس جوارهـا عجـوز يتصفـح جريـدة. خمَّنـت أنـه زوجهـا. كانـت المـرأة تبحـث في أحـد الأدراج. بعـد لحظـات أخرجـت مفتاحًـا ونظـرت للعجـوز، وهـي تقـول: «جرجـس». ألا تكـف عـن قـراءة الجريـدة! لتذهـب كي تجهـز الغرفـة للمودمزيـل.

أزاح «جرجـس» الجريـدة، أطـلَّ بوجهـه، رغـم أن إحـدى عينيـه بـدت بيضـاء لا أثـر للسـواد فيهـا، ورغـم التجاعيـد المنتـشرة في وجهـه إلا أنـه بـدا ودودًا. قـال بصـوت يشـبه

فحيح الأفعى:

نتسلى يا «تريزا».

بدا جرجس رشيقًا. حركته الخفيفة لا تليق بجسده الهرم. وقف أمامي ونظر في عيني مباشرةً، وقال بنفس الصوت:

أهلًا وسهلًا نورتِ البنسيون.

تراجع خطوةً للخلف وغادر يمشي بخفة.

- زوجك؟

أجابت بعد أن انحنت تفتّش في أدارج المكتب:

- قدري.

اعتدلت تحمل في يدها مجموعة من الأوراق أخرجت من بينها عقد إيجار. ناولتها بطاقتي الشخصية. عاد جرجس. ليوصلني إلى حيث غرفتي. رغم قصر المسافة إلا أنه استطاع أن يعطيني وصفًا مفصلًا عن البنسيون.

دخلت إلى الغرفة، جلست على حافة السرير. أجول بنظري فيها. ضيقة، بالكاد تتسع لسريرين. في الجهة المقابلة دولاب صغير به مرآة. على الجدار الأيمن

علقـت لوحـة لامـرأة جميلـة تحمـل طفـلًا عاريًـا يُمسـك صليبًـا خشـبيًّا بيديـه.

اسـتلقيت عـلى السريـر. مـضى وقـت طويـل لـم أذُق طعـم الراحـة. حاولـت النـوم، لـم أسـتطع، فكلمـا أغمضـت عيـني رأيـت مـا حـدث البارحـة. حمـم بركانيـه تتدفـق مـن الأهرامـات، تغمـر بيـوت نزلـة السـمان. شـهب تسـقط مـن السـماء.

بينمـا أنـا كذلـك. تذكـرت أنـني دفعـت أجـرة الغرفـة لمدة يومـين، ولـم يتبقـى معـي مـا يكفـى لبـاقي الأيـام. فكـرت أن أعـود للسـيدة «تريـزا» أطلـب منهـا تسـاعدني في العثور عـلى عمـل.

عندمـا عـدت للاسـتقبال كانـت تسـتعد للخـروج. تـرددت في محادثتهـا. لكنهـا بـادرت:

هل هناك ما يزعجك؟

تلكأت مترددة. لكنها واصلت وهي تغلق حقيبتها:

هل ترغبين في مرافقتي؟ لن نتأخر.

وافقت على الفور.

قالت وهي تمسك يدي:

قلبي ارتاح لك يا «وردة».

سرنا في شارع ضيق. قطع من السحب تتشكّل. سألتني ماذا كنت أريد منها.

أخبرتها أنني أبحث عن عمل وأحتاج مساعدتها.

ضغطت على يدي بقوة. حدثتني بحزن عن ابنتها التي ماتت. قالت: لو كانت ابنتي ما تزال حية لكانت الآن في عمرك تقريبا. يبدو أن الرب استجاب لدعائي وسيعوضني بك.

وصلنا إلى شارع مزدحم. جسد «تريزا» البدين عبء عليها، خصوصًا في الأماكن المزدحمة التي تحتاج لحركة سريعة. في آخر الشارع كنيسة. انتبهت أننا نتجه لندخلها:

سأنتظرك هنا.

قالت بإلحاح:

ما بك يا «وردة»! الكنيسة كالمسجد كلاهما دور عبادة.

سحبتني فانسقت خلفها. اجتزنا البوابة لنجد فناء

غـرس فيـه العديـد مـن أشـجار الزيتـون والنخيـل والجوافـة. وصلنـا مدخـل الكنيسـة الداخـلي. رائحـة البخـور تمـتزج مـع الترانيـم. الشـموع تنتـشر في الزوايـا داخـل الكنيسـة. تمتـد سـجادة حمـراء تفصـل مقاعـد الرجـال عـن مقاعـد النسـاء. جلسـنا في الصـف الثالـث. أتأمـل المـكان. في الواجهـة منصّـة رسـم عـلى جدارهـا الخلفـي المسـيح جالسًـا عـلى العـرش. يتوسـط المنصـة طاولـة غُطيـت بقمـاش زُيـن برسـومات كثـيرة وضـع فوقها صنـدوق صغـير علمـت فيمـا بعـد أن هـذه الطاولـة تعـرف بالهيـكل! أمـا الحاجـز الخشـبي الـذي يفصـل الهيـكل عـن مـكان جلوسـنا فقـد زيـن برسـوم للعـذراء والمسـيح وقديسـين كـثر.

لـم يمـضِ وقـت طويـل حـتى خـرج رجـل ينفـض يـده المبتلـة بالمـاء، ارتـدى جلبابًـا أبيـض طـرزت أكمامـه بالصلبـان. وضـع عـلى رأسـه طيلسـانة، طـرزت أيضًـا بالصلبـان. أخـذ يترنـم بالصلـوات. انقبـض قلـبي عندمـا أمسـك المبخـرة وطـاف بهـا بـين الحاضريـن. عـاد للمنصـة. وقـف معطيًـا ظهـره للحاضريـن يحـدق في صـورة المسـيح الجالـس عـلى العـرش. ثـم أشـار بيـده يطلـب مـن الحضـور السـجود. أمسـك خـبزًا قطعـه

قطعًـا صغـيرة وغمسـه في كأس وناولـه للحاضريـن. «تريـزا» حريصة أن أتنـاول الخـبر مـن يـد الكاهـن. لكنـني رفضـت. خـارج الكنيسـة سـألتها:

لماذا تحرصين على حضور القدّاس.

قالت:

يـا «وردة» القـدّاس يؤلـف أرواحنـا بالملائكـة. فنحـن عندمـا نذهـب للسـماء سـنجتمع بالملائكـة والقديسـين هنـاك ونكـون قـد تعودنـا عليهـم فـلا نشـعر بالغربـة. ويتيـح لنـا القـدّاس أيضًـا أن نتنـاول جسـد ودم الـرب الـذي يحـل في المـكان. لقـد ارتكبـتِ اليـوم خطيئـة يـا «وردة».

نظرتُ لها بارتباك. واصلتْ:

لقـد رفضـتِ تنـاول جسـد ودم الـرب. مـن يحـضر القـدّاس ولا يتنـاول إثمـه كإثـم «يهـوذا» الـذي أصبـح جسـده مسـكنًا للشـيطان. مـع ذلـك لا ألومـك. والـرب لا يلومـك أيضًـا لأنـك تجهلـين. سـنذهب لسـوق السـمك. في طريقنـا. طبعًـا ستسـاعديني في الطبـخ.

هززت رأسي بالموافقة.

ألفت «تريزا». أو لم يكن لي ملجأ غيرها. كان لديها مقهى صغير عملتُ به نادلة. انتقلت للعيش معها في منزلها. جرجس يقضي معظم وقته في البنسيون، عدا يوم الجمعة، يتجول بالتاكسي الرابض أمام البنسيون في شوارع الغردقة. لا يأتي للمنزل إلا يوم السبت. يغلق على نفسه باب غرفته ولا يخرج إلا صباح الأحد. عندما سألت «تريزا» عن سبب ذلك قالت:

إنه يتذوق الملكوت.

عندما بدا لها أنني لم أفهم، واصلتْ:

يدرّب روحه كيف تحب يسوع. يدرّبها تعيش بعيدة عن المادة والجسد حتى إذا حصل الموت وانفصلت الروح عن الجسد تجد المتعة التي تدربت عليها.

عندما يأتي جرجس للبيت في ذلك اليوم يحضر معه البخور وبعض القوارير المليئة بالسوائل ويغلق عليه غرفته. اقتربت ذات يوم من باب الغرفة، تراجعت على الفور عندما سمعت صوتًا غليظًا يشبه صوت صاحب الرداء الأخضر والعمة البيضاء، لكني بعد أن عُدت لغرفتي هدأت وقلت توهمات! تعجبت لحاله،

كنـت في بعـض الأحيـان أرى في عينـه اليُمـنى البيضـاء صـورة «المرجـاني» مـا تلبـث أن تختفـي. بـتُّ مشـتتة أمامـه لأجـل ذلـك كنـت أتحـاشى أن أتحـدث معـه أو أن أقـترب منـه.

مضـت الأيـام. تأقلمـت مـع حيـاتي الجديـدة بعـد أن نسـيت كل شي يذكِّـرني بنزلـة السـمان و«المرجـاني» وصاحـب الـرداء الأخـضر. إلا أن شـيئًا واحـدًا لـم أسـتطع أن أنسـاه. كلمـات قالهـا المرجـاني: المـاء. العلامـة.

مشـكلتي يـا «ضـاوي» أن جـذوري توغلت في تربـة الماضي. تشـابكت مـع جـذور أخـرى لا تسـتطيع الانفـكاك سـوى بالذبول.

مـضى عـلى قدومـي للغردقـة تسـعة أشـهر، فكـرت خـلال هـذه المـدة أن أعـود للقاهـرة لكنـني كنـت أتراجـع بمجـرد أن أتذكـر تلـك الأحـداث.

صمتـت «وردة». نظـرت للأعـلى تراقـب مجموعـة مـن النـوارس تحـوم فوقنـا مبـاشرةً. قالـت وكأنهـا تهمـس للسـماء:

نار المرجاني ولا جنة تريزا.

نظرت نحوي وقد ذبلت ملامحها:

ذات ليلـة اكتشـفت اكتشـافًا خطـيرًا جعلـني أقـرر تـرك هـذه العائلـة الملعونـة. كانـت ليلـة الأحـد. ولـم يدخـل جرجـس غرفتـه كعادتـه، بـل توجـه لغرفـه «تريـزا» غاضبًا. مـر جـواري ودون أن ينظـر لي قـال:

هل عادت تريزا؟

قلت: في غرفتها.

سـمعت صـوت ارتطـام البـاب. عقبـه صمـت لـم يـدم طويـلًا. اقتربـت مـن بـاب الغرفـة. سـمعته يقـول:

لقـد أرسـل القـس «يوحنـا» هـذا اليـوم في طلـبي. عندمـا ذهبـت إليـه قـال لي أن أخبـار وصلتـه مـن الديـر بخصـوص ابنتـك. الأمـر خطـير ولا بُـد أن تُنهيـه. أخـبرني أن ابنتنـا لـم تعـدل عـن أفكارهـا المسـمومة بـل أثـرت عـلى الراهبـات بتلـك الأفـكار. قـال أبونـا أصـدر قـرارًا بإعـدام «ماريـا».

صمت جرجس قبل أن يقول:

أبونـا يأمـرني بتنفيـذ حكـم الإعـدام. يقـول أن هـذه هـي الطريقـة الوحيـدة الـتي تثبـت بـراءتي مـن أفـكار «ماريـا»

الـتي تمـس يسـوع. مـا زالـت تنكـر التثليـث ولاهـوت المسـيح.

جاء صوت «تريزا» قاسيًا:

أخبرتـك مـن قبـل أن «ماريـا» ماتـت! منـذ تمكـن منهـا الشـيطان. لكنـك أصريـت أن ترسـلها للديـر وهـذه هـي النتيجـة.

- يريد أبونا مني أن أحرقها!

- مصيبة وحلَّت علينا.

- هذا الأحمق يريد أن أحرق ابنتي حتى تكون عبرة!

- أبونـا ليـس أحمـق يـا جرجـس. احـذر أن يتمكـن منـك الشـيطان أنـت أيضًـا. نفِّـذ أمـر أبونـا وإلا سـتحل علينـا اللعنـة. لقـد عوضنـا يسـوع بـوردة. بعدمـا أرسـلنا «ماريا» للديـر بسـتة أشـهر تجـيء وردة تطلـب أن تعيـش معنـا. بذمتـك أليسـت معجـزة!

- لا تفـسري الأمـور عـلى هـواك. سـيأتي يـوم وتغـادرك «وردة «. لا تنـسي أنهـا ليسـت مـن ملتنـا.

ارتفع صوت «تريزا» كسيل هادر:

لا تقـل ذلـك لـن تغادرنـا أبـدًا. تحدثـت مـع الراهـب دانيـال وقـال لي سـتتحول «وردة» لماريـا فقـط الأمـر يحتـاج بعـض الوقـت.

ارتعشـت خوفًـا. فلطالمـا سـمعت عـن الراهـب «دانيـال» مـن «تريـزا» نفسـها حكـت لي خوارقـه. حدثتـني كيـف أنـه سـخط إحـدى النسـاء لكلبـة، وأن تلـك الكلبـة كانـت تتبعـه أينمـا ذهـب.

انصرفـت لغرفـتي. ولـم يمـضِ وقـت طويـل حتى سـمعت طرقـات عـلى بـاب غرفـتي الـذي انفتـح ليُطـل منـه وجـه تريـزا. حاولـت أن أتماسـك. أرتجـف مـن داخـلي. خـرج صـوتي مرتبـكًا:

تفضلي.

تقدمتْ، جلستْ على طرف السرير:

«ماريا» تعالي بحضني.

قلت وقد تمكن مني الهلع:

لست «ماريا».

كاد وجهها أن يتمزق وهي تقول:

بل أنت «ماريا». أتفهمين؟ من اليوم أنت «ماريا».

زحفت للخلف حتى التصق ظهري بالجدار. التفتت ناحيتي وقالت بصوت ودود: آسفة يا «وردة « لا تؤاخذيني. نهضت بسرعة وانصرفت!

تلك الليلة خرجتُ ولم أعُد لبيت «تريزا» ثانيةً.

موجة كبيرة تكسّرت على الصخرة التي تجلس «وردة» عليها. الأسماك تتقافز في عرض البحر. في الأفق البعيد بدأت تتشكّل سُحب سوداء عملاقة.

صوت «وردة» يزاحم صوت الأمواج وينفُذ داخلي:

يبدو أنها ستمطر.

قلت وأنا أحدق في السحب:

كنت أعتقد أن أجمل ما يمنحنا إياه المطر هي تلك الروائح التي لا تفوح ولا تخترق أعماقنا إلا بأمره. كرائحة الأرض. رائحة الطفولة. لكن أدركت أنه يمنحنا جمودًا متمثلًا بأسئلة كونية ووجودية، لذا أخشى المطر.

أخبرتني العرّافة «هدابة» أنني سأموت في يوم ممطر. ستخرج روحي وتصعد على حبّات الماء الساقطة. حتى تصل السماء. وسيبتلع جسدي الظلام.

# 11

قِطع السُّحب السوداء قادمة باتجاهنا. تجمع أطرافها لتكون كتلةً واحدةً سوداء. وتهجم على الغردقة وتقضي عليها.

الشمس تستعجل المغيب، تحاول جاهدةً أن تسقط في جوف الكون قبل بدء المعركة.

أطلقت العنان لروحي واسترجعت بعض المشاهد البعيدة. لاحت لي صورتي وأنا طفل لم أتجاوز العاشرة بعد. أتسلل بين خيام القبيلة فجرًا. تحجب بقايا الظلام العالقة في الفضاء الرؤية عني، فلا أرى سوى خيالات الأشياء. ثغاء الأغنام يبدد الصمت الجاثم على المكان. الهواء المحمّل برائحة نبات الربل ينفُذ لداخلي. أسابق الوقت كي أتسلّق جبل شار. لأفاجئ الشمس المختبئة خلفه. أقفز فوقها وأرافقها في رحلتها اليومية. تأخرت كالعادة، خرجت الشمس ترسل ضياءها لتكسو رمال الصحراء بلون الذهب.

في صورة أخرى شاهدت الرياح الشديدة تعبث في بيوت الشعر المنصوبة، أسفل جبل شار، تقتلعها وترمي بها بعيدًا. الشمس تكاد تختفي في موجة من الغبار. يمتز ج نباح الكلاب بعويل النساء. مشيت مبتعدًا أقتاد ناقتي، نظرت خلفي لأشاهد الدوامات العملاقة من الرمل تبتلع كل شيء.

انتبهت لنظرات وردة تجاهي. جاءني صوتها:

لمـاذا نحتـاج لوقـت طويـل حـتى نجـيء للحيـاة ولا نحتـاج لـذات الوقـت كي نغادرهـا. لا يمكـن أن يـأتي إنسـان لهـذه الدنيـا فجـأة، بينمـا يغادرهـا كثـيرون دون سـابق إنـذار! ألا يحـق لهـؤلاء المغادريـن أن يودعـوا ذويهـم، أن يؤخـروا موعـد نومهـم في تلـك الليلـة الأخـيرة! ألا يحـق لهـم إضعـاف تلـك الخيـوط الـتي نسـجوها حـول بعـض القلـوب وبعـض اللحظـات وبعـض الأشـخاص!

- يـا «وردة» النـاس لـم ينتبهـوا أنهـم يسـيرون عـلى حبـل يصـل بـين الحلـم واليقظـة. لـذا يتأرجحـون. ولحظـة سـقوطهم يـرون الحقائـق المجـردة. أمـا أنـا فقـد رأيـت تلـك الحقائـق جليـة، رأيـت المـوت يلقـي بالنـاس مـن فـوق حبـل الحيـاة.

كنـت أجلـس في غـار العرافـة «هدابـة». قالـت وهـي تُشـعل النـار:

ما جاء بك يا ولدي؟

لم أُجب.

اقتربت مني. قالت وهي تحدّق في عيني:

يستحيل ذلك.

ثـم قامـت تمـشي في الكهـف تـدور حـولي وحـول النـار. صوتهـا المضطـرب يتهـاوى إلى عمـق الكهـف:

لقد كتب عليك الشقاء يا ولدي.

عـادت لتجلـس قبالـتي. تنظـر لي بتمعُّـن تحسَّسـت وجهـي بأصابعهـا كأنهـا تتأكَّـد مـن وجـودي. أرخـت رأسـها وجـاءني صوتهـا مثقـلًا حزينًـا:

خِلـتُ أن المأسـاة انتهـت، لكـن يبـدو أنـك آخـر مـن سيسـير في ذلـك الطريـق.

أتصبّب عرقًا. لم أقوَ على الكلام. حدثتُ نفسي:

ليتـني ظللـت بـين أجسـاد العجائـز الجوفـاء ولـم ألجـأ إلى هـذه العجوز.

بينمـا كنـت أجمـع قـواي لأقـدم عـلى النطـق باغتتـني بقولهـا:

ستموت في يوم مُمطر ويبتلعك الظلام.

صمتـت. أمسـكت بعـود حطـب ووضعتـه في النـار. سـألتها:

عمّن تتحدثين؟ وما علاقتي بالأمر؟

قالت:

سـأخبرك بمـا أسـتطيع إخبـارك بـه. لقـد خُلقـت يـا ضـاوي بعـد انفجـار نجـم عظيـم حـدث ذلـك منـذ ملايـين السـنيين. لـم يكـن انفجـار ذلـك النجـم عاديًّـا. بـل حـدث ليطهّـر الأرض.

أنظرُ وهي تُشير لجدار الكهف.

ثمـة أخيلـة تتراقـص عـلى ضـوء لهـب النـار. أمعنـت النظـر، رأيـت خيطًـا أبيـض دقيقًا تمـشي فوقـه مجموعات مـن البـشر لا تلبـث أن تسـقط. قالـت:

لن يصل منهم أحد.

قلت:

لماذا يحاولون إذًا؟!

ابتسمت. حركت النار بعود حطب وقالت:

السَّـواد يـا «ضـاوي» أول العلامـات والمـاء آخرهـا. وإذا بلـغ الأمـر ذروتـه اذهـب للبلـدة خلـف ذلـك البحـر. سـتقودك قدمـاك للطريـق، لكـن حـاذر، فطريـق الحيـاة هـو ذاتـه طريـق المـوت.

ولـم تنطـق بـشيء بعـد ذلـك. منـذ ذلـك الوقـت قـررت أن أهـرب مـن ضبـاء.

فراشـات كثـيرة تتطايـر مـن جسـد «وردة»! هززتهـا لـم تنطـق. الفراشـات تطـير تاركـةً فراغـات في جسـدها. صوتي يضيـع مـع الرعـد وأنـا أصرخ: «وردة.. وردة».

السماء سوداء تمامًا. المطر يسقط بغزارة.

الفراشات تصعدُ وجسد وردة يتلاشى.

# سُلطان الحويطي

روائي سعودي، ولد بمدينة جدة، ١٩٧٧.
صدرت مجموعته القصصية «أرض الرَّماد» عن دار الفارابي، بيروت ٢٠١٥.

## صدر عن

# منشورات الربيع

@manshurat.alrabie

#منشورات_الربيع

# دراسات

| العنوان | المؤلف | العام |
|---|---|---|
| السينما والرقص على الحبال المشدودة | كريم فرغلي | 2017 |
| مشاركة الشباب في الحياة السياسية | علي سالم | 2017 |
| هجرات الموريسكيين | عبد اللطيف مشرف | 2017 |
| الأندلس تاريخ الشتات | د. محمد الرزاز | 2017 |
| المرأة والجنس | د. نوال السعداوي | 2017 |
| حياة الحقائق | غوستاف لوبون | 2017 |
| الثورة الفرنسية وروح الثورات | غوستاف لوبون | 2017 |
| الحلاق والشيخ | عمرو عاشور | 2017 |
| ملك وامرأة وإله | نوال السعدواي | 2016 |
| دافنشي- وذكريات الطفولة | سيجموند فرويد | 2015 |
| ذاكرة الحكائين | أمير تاج السر | 2015 |
| آيات علمانية | عماد نصر ذكري | 2013 |

# روايات

| العنوان | المؤلف | العام |
|---|---|---|
| سقوط الإمام | د. نوال السعداوي | 2017 |
| سورة الأفعى | مصطفى الشيمي | 2017 |
| ظل طائر خفيف | حازم عزت سعد | 2017 |
| لآدم سبع أرجُل | دعاء إبراهيم | 2017 |
| Bipolar | غادة عبود | 2017 |
| عُري | سلطان الحويطي | 2017 |
| النحت في صخور الألماس | ميسرة الهادي | 2017 |
| أيام هدى | أحمد الواصل | 2017 |
| ذيول الخيبة | مها حسن | 2016 |
| ذكريات النوم القديم | عمرو عبد الكريم | 2016 |
| لعبة الريح والمطر | حسين مرعي | 2016 |
| مراثي الدمى | ميسرة الهادي | 2016 |
| وردة وكابتشينو | أحمد الواصل | 2016 |

# روايات

| العنوان | المؤلف | العام |
|---|---|---|
| الأوركسترا الليلية | رضا قاسمي | 2015 |
| السهم الزمني | مارتن أميس | 2015 |
| برج العذراء | إبراهيم عبد المجيد | 2015 |
| خطايا الآلهة | أدهم العبودي | 2015 |
| طهران..الضوء القاتم | أمير حسن جهلتن | 2015 |
| صياد الملائكة | هدرا جرجس | 2015 |
| الصنم | أشرف الخمايسي | 2015 |
| ريمورا | غسان حمدان | 2015 |
| أبابيل | شريف عبد الهادي | 2014 |
| الطيبيون | أدهم العبودي | 2014 |
| النوم مع الغرباء | بهاء عبد المجيد | 2014 |
| شفرة فرويد | رامي جان | 2013 |
| أورارا | فضل ساسي | 2012 |

# قصص

| العنوان | المؤلف | العام |
|---|---|---|
| كل نكهات الآيس كريم لامرأة وحيدة بالصورة | هالة صلاح | 2017 |
| بنت حلوة وعود | مصطفى الشيمي | 2016 |
| جنازة ثانية لرجل وحيد | دعاء إبراهيم | 2016 |
| وردة للخونة | محمد عبد النبي | 2016 |
| مزيد من كل شيء أو لا شيء على الإطلاق | حازم عزت سعد | 2016 |
| L for life | Loaiy A. Tageldin | 2015 |
| أهواك | أشرف الخمايسي | 2015 |
| تقتلني أو أكتبها | عبد الصبور بدر | 2014 |
| آخـر أحـلام الدانتـيل | معتز هاني | 2013 |
| بريود | محمد متولي | 2013 |
| الشوارع الجانبية للميدان | طارق مصطفى | 2012 |

| | | |
|---|---|---|
| قميص جامعة الدول | أحمد الواصل | 2012 |

# نصوص

| العنوان | المؤلف | العام |
|---|---|---|
| دليل النهايات | ممدوح عبد الحميد | 2017 |
| الهزيمة الكاملة - منولوج | أحمد عبد الحي | 2017 |
| نصف إله مضطرب | أحمد سعيد | 2017 |
| ورحلتُ يومًا للسماء | عائشة علي موسى | 2017 |
| صف واحد موازي للوجع | ممدوح عبد الحميد | 2014 |
| القاهرة | أحمد بخيت | 2014 |
| لا شيء لي | محمد رجب | 2014 |
| الوشم المقدس | شادي المحمودي | 2013 |

# أدب الطفل

| العنوان | المؤلف | العام |
|---|---|---|
| خاتم ناني السحري | يوسف بعلوج | 2017 |
| حصالة علي | يوسف بعلوج | 2017 |
| إنقاذ الفزاعة | يوسف بعلوج | 2017 |
| مملكة القط الأسود | مصطفى الشيمي | 2017 |
| حكاية الغول الأخضر | مصطفى الشيمي | 2017 |
| العصفورة مرمر | مصطفى الشيمي | 2017 |
| موني | مصطفى الشيمي | 2017 |

# المسرح

| العنوان | المؤلف | العام |
|---|---|---|
| المظلة | يوسف بعلوج | 2017 |
| بنادورا | ميسرة صلاح الدين | 2014 |